وزارة الثقافة

الزهرة الحمراء

جميل البحري

رقمنة

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

الزَّهرة الحمراء

تأليف: جميل حبيب البحري

صدرت الطَّبعة الأولى عام ١٩٢٢

عن مطبعة الزّهرة - حيفا

وزارة الثقافة الفلسطينية
سلسلة الموروث الثقافي
اسم المؤلف: جميل حبيب البحري
اسم الكتاب: الزَّهرة الحمراء
الطبعة الأولى: ١٩٢٢ عن مطبعة الزّهرة - حيفا

الإشراف العام: عبد السَّلام عطاري
مراجعة وتدقيق: حنين خالد عِناية
الصف والتنضيد: شادية الخطيب
تصميم الغلاف: فاطمة حسين

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين
www.moc.pna.ps

الزَّهرة الحمراء

تقديم

سيادة الرَّئيس محمود عبَّاس «أبو مازن»

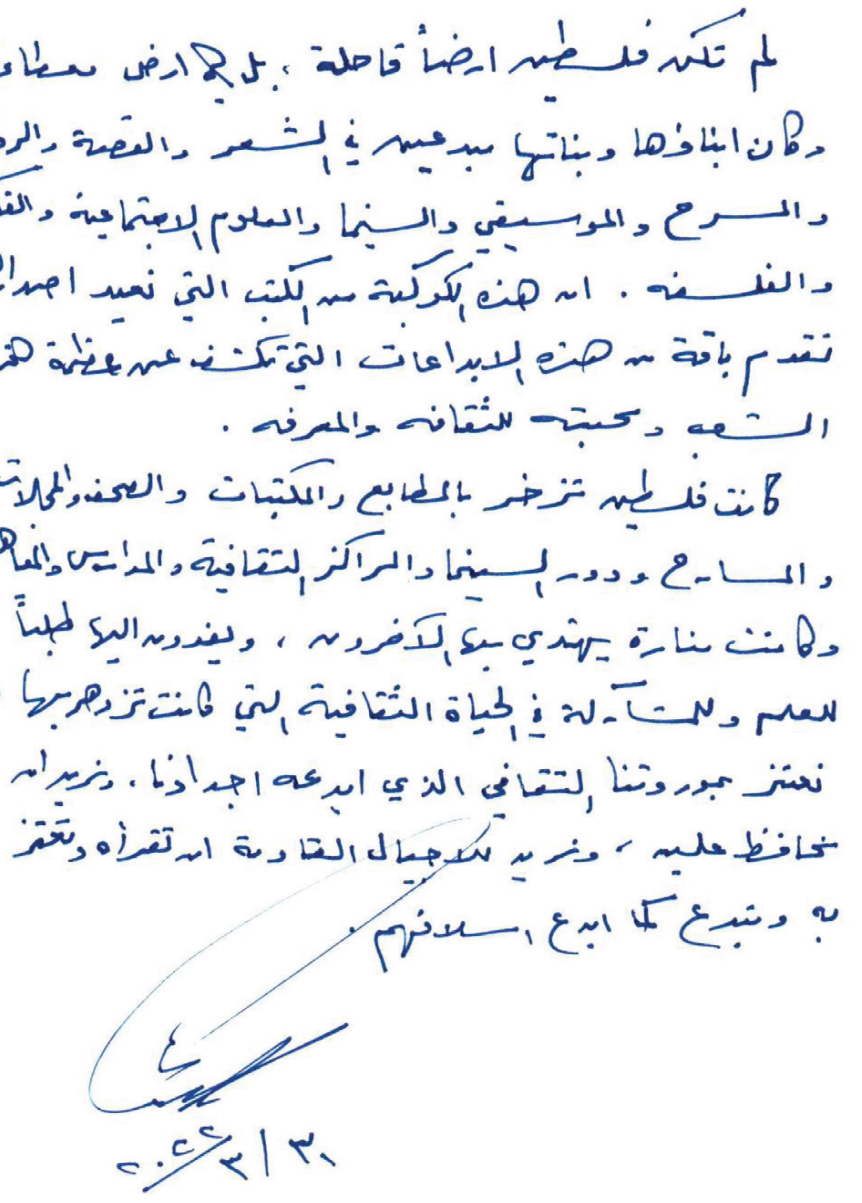
لم تكن فلسطين ارضاً قاحلة ، بل كانت ارض معطاءة
وكان ابناؤها وبناتها مبدعين في الشعر والقصة والرواية
والمسرح والموسيقى والسينما والعلوم الاجتماعية والفكر
والفلسفة . انه لمن الكرامة ان الكتب التي نعيد اصدارها
تقدم باقة من هذه الابداعات التي تكشف عمق وغنى هذا
الشعب وحبه للثقافة والمعرفة .

كانت فلسطين تزخر بالمطابع والمكتبات والصحف والمجلات
والمسارح ودور السينما والمراكز الثقافية والمدارس والمعاهد
وكانت منارة يهتدي بها الكثيرون ، ويفدون اليها لطلب
العلم والمشاركة في الحياة الثقافية التي كانت تزدهر بها .
نعتز جميعنا بتراثنا الثقافي الذي ابدعه اجدادنا . ونريد ان
نحافظ عليه ، ونريد لاجيالنا القادمة ان تقرأه وتعتز
به وتبدع كما ابدع اسلافهم .

٢٠٠٥/٢/٣٠

شـديدا كان الهيـاج يومئـذٍ في باريـس وفظيعـة كانـت أعـمال الثوريـين ولم يكـن يُـرى في شـوارعها إلا آلات إعـدام مُعـدّة لزهـق الأرواح. فهنـا مقاصـل نحـر الرقـاب وهنـاك مشـانق يُسـاق إليهـا أشراف فرنسـا سـوق الحمـلان إلى الذبـح، وهنالـك جـلادون يتفننـون باخـتراع وسـائط التعذيـب لمـن كانـوا بالأمـس أسـيادهم وقـادة أعمالهـم، بـل ومـن كانـوا لفرنسـا وطنهـن خـير مدافعـين عـن حياضهـا ومجاهديـن في سـبيل هنائهـا وسـاعين وراد رد كيـد الأعـداء عنهـا...

تلـك كانـت حالـة فرسـا سـنة ١٧٩٢ وقـد فاضـت التواريـخ بوصـف حوادثهـا المرعبـة. أمـا المعدومـون والمضطهـدون فـلا ذنـب عليهـم إلا أنهـم كانـوا شرفـاء وسـليلي عظـام شـدّوا أزر الملكيـة وانتمـوا إلى مليكهـم المحبـوب لويـس السـادس عـشر الـذي مـع قرينتـه مـاري أنطوانيـت مُثّـل فيهـما أفظـع تمثيـل وسـجنا كأسـافل القـوم تحـت الأرض وسـيقا بعـد هـذا التاريـخ -كـما لا يخفـى – إلى الذبـح فأعدمـا تحـت سـكين المقصلـة الحـاد الشـفرة دون أن يُنظـر إلى مقامهـما الرفيـع أو يُراعـى الـدم الملـكي الشريـف الجـاري في عروقهـما، وكأن الثوريـين الثملـين بنشـوى دمـاء الأبريـاء المهـدورة كانـوا يـزدادون سـكرا عـلى سـكر كلـما سـمعوا بإفـلات أحـد مـن الملكيـين مـن بـين أيديهـم وابتعـاده عـن الحـدود الإفرنسـية فيعملـون بالباقـين السـيف القاطـع وبديارهـم النـار الآكلـة. وقـد ثـار ثأرهـم العظيـم خصوصـا لمـا علمـوا أن عصابـة إنكليزيـة يعمـل أفرادهـا خفيـة عـلى تخليـص المظلومـين وإرسـالهم إلى مـا وراء المانـش بعيـدا عـن الفظائـع والمجـازر البشريـة.

ولم يكن أحد يعرف تاريخ هذه العصابة الشريفة ولا من يكون أفرادها، وجُل ما وقفوا عليه أنها تأتمر بأمر رئيس إنكليزي واحد يقوم بنفسه بأهم أدوار التخليص مقتحما الأخطار دون خوف ولا فزع من الضامرين له ولأفراد عصابته شرا والمعدين له ولهم أشنع الميتات وذلك تحت عنوان «الزهرة الحمراء» اسم أضحى مفزعة الجميع ومُحيّر عقول القوم في باريس فزادوا الحرس على الأبواب الكبيرة وفي الشوارع وفي كل مكان بغية القبض على المخلصين وجعلهم عبرة لكل من يجرؤ على التداخل بما لا يعنيه ويحرم المقصلة من فريستها.

وكان أشد القوم سخطا قائد فرقة الجند الرابضة على باب المدينة الكبير لحراسته، وقد وكل إليه روبين بيير ودانتون رئيسا الثورة أمر القيام بهذه الوظيفة المهمة نظرا لما عرفاه فيه من الإخلاص للجمهورية والكره للملكيين وعدم وجود محل للشفقة في قلبه لو أمسك أحدا منهم فيعمل على تعذيبه العذاب الشنيع وإهلاكه تشفّيا وانتقاما غير مشفق عليه لو كان طفلا صغيرا، أو راثٍ لحالته التعسة لو عرفه شيخا، أو شابا، أو فتاة، أو عجوزا..

فلا بدع إذن إذا ثار ثائره كلما عرف بإفلات أحد من بين يديه، ولا عجب إذا كان يُجن سخطا وحنقا كلما تأتيه ورقة موقعة بالعلامة الحمراء مكتوب عليها هذه الكلمات «إن عصابة الزهرة الحمراء غير قاعدة عن عمل الخير وتخليص المظلومين».

ثم يعرف بعد ذلك أن فئة من الملكيين قد فازوا بالخلاص وتمكّنوا من الابتعاد عن فرنسا رغم سهره وانتباهه فيزيد على الانتباه انتباها

وعلى الحرس جنودا واعدا الساهر على وظيفته بأحسن المكافأة وإلا فالويل والموت الأحمر لمن يدع ملكيا يمر ولا يُلقي القبض عليه... ولكن لا كثرة عدد الجند تكفي لتوقيف المخلصين الكرام عن عملهم ولا الوعيد يخيفهم أو يثنيهم عن إتمام مشروعهم المبرر...

والمضحك والمبكي في كل ذلك أن وسائط التخليص المتنوعة قصر عن اكتشافها رجال الثورة.. ففي ذات يوم وكانت الحدة آخذة مأخذها والحراس واقفين في مواقفهم يرصدون وكلهم آذان منصتة وعيون مفتحة لسماع أو مشاهدة ما ينم عن دسيسة أو خيانة ليضربوا على أيدي فاعليها، وإذا بمركبة مرت من أمامهم ملأى بالبراميل الكبيرة يسوقها شيخ هرم قد أحنت الأيام ظهره لا يكاد يتمكن من رفع السوط وبجانبه فتى ثرثار يشبع السامعين صياحا... فأوقفوها، وبعد أن تأكدوا م فراغ البراميل سمحوا لها بإكمال طريقها آمنين مطمئنين أن لا ملكي فيها يود الفرار فابتعدت العربة عنهم إلى حيث لا أحد يدري.

وما هي إلا برهة حتى جاء قائد الحرس وصرخ بالجند مستفهما عن المركبة المارة وعما جرى براكبيها فأجابوه أنهم تركوها تمر لأن لا شيء فيها ينم عن خيانة. فاستشاط القائد عند هذه الكلمات غضبا وحكم على مقدم الحراس بالإعدام قصاصا له على إهماله لن العربة كانت تقل أشراف الإفرنسيين الفارين من وجهة مضطهديهم ولم يكن السائق العجوز إلا الزهرة الحمراء زعيم العصابة..

وقد تعدّدت مثل هذه الحوادث دون أن يدري أحد كيف تلافيها، وأخيرا إلى بيبو على نفسه أن يقف هو بالمرصاد لكل وارد وشارد

ويقـوم بنفسـه بفحـص كل عابـر سـبيل يـود الخـروج مـن المدينـة حتـى يوقـف الزهـرة الحمـراء عنـد حـده ولا يدعـه يزيـد عمـلا فـوق أعمالـه ويحرمهـم لـذة الانتقـام الهائـل...

فمـرت بـه ذات يـوم عربـات تسـوقها نسـاء قرويـات وفي الأولى منهـا عجـوز شـمطاء عرفهـا بيبـو لأول نظـرة، إنهـا هـي التـي اعتـاد أن يراهـا عـلى مقربـة مـن المقاصـل تجـز بمقـص معهـا شـعور المعدومـين لتسـتعملها في حياكتهـا. فأوقفهـا بيبـو وسـألها مصيرهـا ومـا تقـل وهـو يهـزأ مـن نفسـه لهـذا السـؤال البـارد.

فأجابتـه لعجوز وهي تضحك بملء رئتيها:

«إني ذاهبـة ورفيقـاتي إلى الاريـاف نطلـب لأنفسـنا فيهـا راحـة ولأولادنـا المبتلـين الذيـن نقلهـم في العربـات هـواء نقيـا لأن داء الجـدري قـد فتـك فيهـم الفتـك الذريـع ومـن الأطبـاء مـن يقولـون إنهـم مصابـون بالطاعـون».

فنفـر بيبـو عنـد هـذه الكلـمات ذعـرا وتراجـع إلى الـوراء منتهـرا العجـوز ورفيقاتهـا أن يسرعـن بالمسـير خوفـا مـن أن تسـير إليـه العـدوى فتقصـف عـود حياتـه.

فأطلقـت النسـاء لخيولهـن العنـان وصـارت الحيوانـات تنهـب الأرض نهبـا وابتعـدت عـن باريـس بـين خـوف وذعـر بيبـو وجنـوده.

ولم تمـض برهـة حتـى شـوهد عـن بعـد فـارس عامـلا المهـماز في شـاكلتي فرسـه حتـى اقـترب مـن بيبـو وقـال لـه بلهفـة:

- أين العربة؟

فبهت القائد لهذا السؤال وأجاب:

- أي عربة تعني؟

- العربة التي تقودها الساحرة.

- ولكن العربات التي مرت كثيرة فأيها تريد؟

- التي تسوقها عجوز مدعية أن الطاعون دابٌّ في أولادها.

- لقد مرت ولم أمانع مرورها.

فبدت علامات الفشل على ملامح الفارس وقال:

- مرت وفيها الكونتة دي نورني وولديها الذين نطاردهم من مدة.

- لكن من تكون السائقة؟

- هي الزهرة الحمراء.

وهنا نترك للقارئ وصف ذهول بيبو لهذا الخبر المفاجئ..

* * * *

نترك باريس سابحة في دماء أبنائها والثوريين عاملين على مطاردة أشرافهم والويل لمن تقع أيديهم عليه. ونذهب بالقارئ الكريم على الشاطئ الآخر من المانش إلى مدينة دوفر الإنكليزية إلى فندق يُعرف بعنوان فندق الصيادين وقد اشتهر بنظافته وترتيب أعماله بهمة صاحبه المدعو جيلباند الذي مع وحيدته سالي وبعض الخدم كانوا يبذلون قصاراهم لراحة العملاء وهنائهم الذين كان أكثر ممن أخذوا أشغال البحر مهنة لهم فيأتون مساء كل يوم ليشربوا ما طاب لهم

مـن الخمـر ناسـين أتعـاب النهـار. وكان مـن وقـت إلى آخـر يمـر بالفنـدق جماعـة مـن نبـلاء الإنكليـز قاصديـن فرنسـا أو راجعـين منهـا، فيأخـذون لنفسـهم بعـض الراحـة مـن عنـاء السـفر ثـم يكملـون طريقهـم إلى مـكان وجهتهـم.

ففـي هـذا اليـوم والصيـادون عـلى عادتهـم يعاقـرون بنـت الحـان وبينهـم رب البيـت يحـاكي هـذا ويكلـم ذاك والبـشر بـادٍ عـلى الوجـوه، كان يُـرى في القاعـة رجـلان جالسـين بعيـدا عـن الشـاربين منهمكـين بلعـب الـورق وهـما عـلى مـا يظهـر مـن ملابسـهما غريبـان عـن الديـار. وكان إذا تابعـت حركاتهـما يلاحـظ منهـما الفينـة بعـد الفينـة بعـض نظـرات معنويـة يتبادلانهـا كأن في قلبيهـما أشـياء كثـيرة غـير مـا يبـدو عـلى ملامحهـما مـن عـدم الاكـتراث بمـا حولهـما.

إن هـما لكذلـك وإذا ببـاب الفنـدق فتـح وظهـر داخـلا رجـل تهيـب الصيـادون لمـرآه أمامهـم فجـأة فحبـوه إكرامـا، وبعـد ذلـك خرجـوا تاركـين الزائـر الجديـد والغريبـين اللذيـن بقيـا يلعبـان كأنهـما لم يلحظـا مـا كان.

أمـا جيلبانـد صاحـب الفنـدق فإنـه ركـض أمـام الزائـر الكريـم ورحـب بـه ترحيبـا دل عـلى مقامـه الرفيـع وقـد لـه مقعـدا فجلـس وهـو يرسـل إلى الغريبـين نظـرات شـك بأمرهـا ثـم سـأل جيلبانـد مسـتفهما عنهـا، فأخـبره هـذا إنهـما مـن عملائـه المعروفـين بالأمنـة والإخـلاص للملـك المحبـوب وهـما يقطنـان المدينـة لمعاطـاة إشـغال التجـارة فيهـا..

وكان هـذا الزائـر اللـورد أنطـوني مـن نبـلاء الإنكليـز، ولمـا سـكن بالـه مـن جهـة الغربيـين قـال لصاحـب الفنـدق:

«تهيّأ يا جيلباند لملاقاة ضيوف لن يلبثوا أن يصلوا إليك قريبا وأوص ابنتك أن تهتم بأمر إعداد وسائط الراحة لهم، فهم إفرنسيون أسعدهم الحظ أن يخلصوا مما كان ينتظرهم في بلادهم على يد الثوريين».

فقام جيلباند لساعته وأعطى الأوامر للخدم وذهبت ابنته لتهيئ غرف المنام وأخذ هو على عاتقه أمر ترتيب القاعة بكل همر ونشاط. ولم تمض برهة حتى سمع في الشارع صهيل جياد تجر عربة وقفت أمام الفندق ففتح الباب على مصراعيه ورحب بالآتين وخطف ابنته سالي لمساعدتهم على خلع أرديتهم المبلولة بمياه الأمطار الهاطلة.

وكان عدد الداخلين أربعة أشخاص منهم ثلاثة فرنسيون وهم الكونتة دي تورني وولديها فيكونت الذي لا يتجاوز العشرين من عمره وبنتها سوزان وقد خلصوا من بين أيدي الثوريين بفضل عصابة الزّهرة الحمراء تاركين في فرنسا والقلوب منهم مدمية كبيرهم الكونت دي تورني الذي كان يقاسي من أبناء جنسه أقسى العذابات، ولولا واجب الكونتة نحو ولديها اللذين أبيا الفرار دون والدتهما لكانت بقيت في فرنسا على مقربة من زوجها تهنأ لهنائه وتشقى لشقائه...

أما الشخص الرابع فهو السر أندري فولكس وقد صحبهم في سفرتهم وهو الذي أتى بهم إلى هذا المكان.

ولما استقرب الجميع المقام قالت الكونتة وعلامات الحزن ممزوجة بشعائر الامتنان بادية على وجهها:

- لا أدري أيها الفاضلان ما أقول إظهارا لما في قلوبنا من عظيم الامتنان نحوكما فقط علمتنا...

فقاطعها اللودرد أنطوني قائلا:

- لا نرغب إليك يا سيدتي إلا أن نعرف أنك سعيدة بوجودك بين ظهرانينا وإنك لم تلاق مزيدا من عناء من ركوب البحر.

- أجل يا لورد إننا سعداء بوجودنا في البلاد الإنكليزية بعيدين عن الاضطهادات والعذابات.

قالت هذا واغرورقت عيناها بالدموع ثم أردفت:

- أجل إننا سعداء بوجودنا بين ظهرانيكم ولا ندري كيف التعبير عما في قلوبنا نحوكم من معرفة الجميل الذي لا ننساه ما دام فينا عرق ينبض...

وبينما هم في مثل هذه الأحاديث نودي إلى الطعام فقاموا ملبين النداء وابتدأوا بالأكل دون أن ينتبهوا إلى ما كان من الغريبين اللذين زحف الواحد منهما بخفة عجيبة إلى ما تحت مقاعدهم وربض هناك حابسا أنفاسه كي لا يكشف سره.

أما الثاني فخرج من الفندق طارقا الباب وراءه. ولم ينتبه الحاضرون إلا إلى حركة إغلاق الباب فتنفّس اللورد أنطوني الصعداء ظانا أن قد أخلي لهم المكان وقال:

- لقد أصبحنا والحمد لله وحدنا ولا من معكر صفو حديثنا.

فرفع الفيكونت الإفرنسي كأسه وشر نخب ملك الإنجليز ودعا له ولشعبه بالنصر والنجاح.

فأجابه الكل إلى دعائه ثم أُتي على ذكر الكونت دي نورني فترقرقت الدموع في عيني الكونتة وقالت:

- إني أكيد أقطع الرجاء بخلاصه من بين أيدي مطارديه.

- تشجعي يا سيدتي وضعي اتكالك بعد الله علينا وثقي بأصدقائك الإنكليز الذين أقسموا ألا يقعدوا عن تخليص الكونت وجمعه بك وبولديك.

- بورك فيكم يا رجال الإنكليز وبأعمالكم العظيمة التي تخلد لكم أمجد ذكر في سجل الإنسانية.. كيف لا وقد طالما جاهدتم ولا تزالون تجاهدون أمام خلاص أبناء جنسكم مما ينتظرهم. فأعمالكم عجيبة وخطط تخليصكم دُهش لها كل واقف عليها، فلذا تروني واثقة بكم كل الثقة أمينة من أنكم سوف تخطفون قريني من بين براثن الموت كما فعلتم بكثيرين قبله وتأتون به إليّ صحيحا سالما... لم أكن لأتركه يقاسي الاضطهاد وحده لولا ولديّ اللذان أبيا الخلاص دوني، فاضطرت إلى تركه وحده يطارده الأشقياء مطاردة الصياد لطريدته..

وما أتت على آخر كلامها حتى خارت قواها من ألم الذكرى وانخرطت في البكاء..

وقد أبكم الحزن ألسنة اللورد أنطوني والسر أندري ولم يدريا ما يقولان تعزية لقلبها الكسير.

أمـا سـوزان فإنهـا أخـذت تهـدئ روع والدتهـا وتسـكن مـا بهـا بقبـلات حـارة كانـت تضعهـا عـلى وجههـا المبلـول بالدمـوع المنحـدرة مـن مقلتيهـا ثـم قالـت بـكلام يسـيل رقـة وعذوبـة:

- كفكفـي دمعـك يـا أمـاه ولا تستسـلمي لحـزن يـضر بصحتـك، فـإن أصدقاءنـا قـد وعدونـا بتخليـص والـدي ولا بـد مـن أن يـبروا بوعدهـم فـنراه قريبـا بيننـا سـالما.

وكأن هـذه الكلـمات نزلـت عـلى قلـب الكونتـة نـزول المطـر عـلى الأرض العطـشى فمسـحت دمعهـا وعلـت وجههـا ابتسـامات الأمـل. فقـال الـسر آنـدري:

- لسـنا يـا سـيدتي إلا آلـة حقـيرة طائعـة بـين أيـدي رئيسـنا المحبـوب الـذي إلى عـلى نفسـه ألا يقعـد عـن القيـام بواجـب تقاضتـه إيـاه الإنسـانية.

فسـألته الكونتة بلهفة:

- ومـن يكـون رئيسـكم؟ باللـه لا تضنّـوا عـليّ باسـمه حتـى أسـعى إليـه وأرتمـي عـلى قدميـه شـاكرة صنيعـه معنـا.

- يسـتحيل علينا إجابتك على سـؤالك فعذرا..

- يسـتحيل؟! وما الذي يمنعكم عن ذلك؟

- إن الزهـرة الحمـراء يشـتغل خفيـة ولا يـود أن يعرفـه إلا جنـوده الأمنـاء الذيـن أقسـموا الإيمـان القاطـع أن لا يبوحـوا بالـسر...

وكأن اسـم الزهـرة الحمـراء أذهـل الكونتـة وولديهـا فعلـت محياهـم إمـارات الدهشـة والذهـول وتطاولـوا بأعناقهـم إلى الأمـام مصيخـين لمـا

يلقى على مسامعهم كي لا تفوتهم كلمة بشأنه. فأكمل السر آندري حديثه:

- الزهرة الحمراء يا سيدتي هو اسم اتخذه رئيسنا المحبوب إخفاء لحقيقة حاله ولكي يتمكن من إكمال مهمته الشريفة إلى النهاية.

- اسم جميل لعمري وقد طالما سمعنا به ونحن في باريس وعرفنا أن أوراقا تأتي قائد الثوريين موقّعه بهذه العلامة كل مرة تمكّن بعض المضطهدين من الهرب..

- هي الحقيقة بعينها.. ورئيسنا يرسلها دوما إليه هزءا وسخرية به وتبليغا له أن وراء الحجاب من يسهرون على المظلومين ويعملون على تخليصهم رغم كل احتياط من جهته.

- ولكن ما الأسباب التي دفعت رئيسكم إلى اقتحام مثل هذه الأخطار وهو يعلم العلم اليقين أن الثوريين مضمرون له ولأفراد عصابته ولكل من يسعى في تخليص ملكي كل شر؟؟

- يعرف كل هذا يا سيدتي وما كان الوعيد ليثبط عزائمه ويرجعه عن مشاريعه العائدة بالخير على أبناء جنسه الذين يهلكون ظلما وعدوانا.

كانت الكونتة تسمع ذلك والقلب منها يخفق خوفا وفزعا على زوجها وقد تذكرت وفؤادها يتفطر أسى ما جرى لها وهي في باريس وكيف تمكّنت بفضل عصابة الزهرة الحمراء من الهرب مع ولديها في عربة ادعت سائقتها أن الطاعون داب في راكبيها. فلو لم يحفل الحراس بهذا

الـكلام وفتشـوا العربـة لـكان مُثّـل فيهـا وفي ولديهـا أفظـع تمثيـل وسـيقوا إلى المشـنقة...

مـرت في رأسـها هـذه الحـوادث مـرورا أدمـى فؤادهـا وأسـال الدمـع مـن مقلتيهـا ثـم سـألت مخاطبهـا قائلـة:

- ما هو عدد أفـراد عصابتكم النبيلة؟

- عددهـم عـشرون يـا سـيدتي، رئيـس يأمـر وتسـعة عـشر يرضخـون مطيعـين طاعـة عمياء.

- أخـذ اللـه بيدكـم وكلـل أعمالكـم بالنجـاح. ولكنـي أعجـب كيـف أنكـم وأنتـم غربـاء عـن فرنسـا تعملـون يـدا واحـدة عـلى خـلاص أبنائهـا مـع أن كثيريـن مـن الإفرنسـيين أنفسـهم يأتـون كل فظيعـة باسـم الحريـة والإخـاء.. حتـى أن النسـاء مـددن يـدا أيضـا إلى أعـمال رجالهـن.. أذكـر امـرأة تدعـى مرغريـت سـان جوسـتان وشـت بالمركيـز سانسـير قريبـي إلى الثوريـين فلاقـى المسـكين مـع أفـراد أسرتـه المـوت الأحمـر تحـت سـكين المقصلـة.. إنكـم تعرفـون ولا بـد هـذه الواشـية الشـقية فهـي ممثلـة اشـتهرت بمواقفهـا عـلى مسـارح باريـس وقـد شُـغف بهـا وتـزوج منهـا رجـل مـن مواطنيكـم لا بـد أنكـم لا تجهلـون اسـمه.

- ومـن لا يعرفهـا يـا سـيدتي وقـد اقترنـت بأعظـم رجـال إنكلـترا غنـى وجاهـا.. ولكنـي لا أدري كيـف أنهـا أقدمـت عـلى هـذا العمـل الشـنيع. ومـا غايتهـا يـا تـرى؟ فـلا بـد أن مـا يُسـمع عنهـا لتهمـة باطلـة التصقـت بهـا وهـي بريئـة منهـا، ولـولا ذلـك لمـا كان اللـورد بلاكنـاي اقـترن بهـا آمنـا وهـو أقـرب المقربـين إلى الملـك ومعـروف بالإبـاءة والـشرف..

- لا سبيل إلى الشك باللورد بتحقيقه هذا الأمر. فأخوها من أكبر مشايعي الثوريين وقد وشى بمساعدة شقيقته بالأسرة سانسير لخلاف وقع بينهما.. فلذا أسأل الله ألا رينى وجهها مدة لإقامتي في البلاد الإنكليزية.

وما انتهت من كلامها حتى سُمع صوت عربة وقفت أمام الفندق ثم أعلن وصول اللورد بلاكناي مع قرينته الليدي مارغريت.

وما سمعت الكونتة هذا الاسم حتى اضطربت في مكانها ورأت نفسها وهي التي جاهرت منذ برهة ببغضها مضطرة إلى الاجتماع بها ومجالستها مجاملة وأدبا. ولكن نفسها الشريفة أبت إلا الاستسلام لعواطف قلبها. فهبت من مكانها وطلبت السماح لها بالانفراد مع ولديها في غرفة حتى لا يقع نظرها على نظر عدوتها فتسوء الحالة. وكأنها لاحظت من ابنتها عدم الإذعان لإرادتها فانتهرتها آمرة:

- الحقي بي يا سوزان ولا أريد منك البقاء هنا والتكلّم مع هذه الآتية.

قالت هذا وأخذت بيد ابنتها وقادتها إلى الغرفة المعدة لها بين ذهول ودهشة الحاضرين...

وصودف في تلك الساعة دخول الزائرين فسمعت اللادي مرغريت ما قيل بشأنها واصفر وجهها حنقا، أما السر برسي بلاكناي فإنه لم يُعر إلى ما قيل أذنا صاغية ودخل على عادته المضحكة ممازحا هذا ومكلّما ذاك..

وهـو رجـل في الثلاثـين مـن عمـره، ربـع القـوام جميـل الهيئـة صبيـح الوجـه كثـير الضحـك والمـزاح معـروف بغريـب أطـواره، فقـد كان - مـع رفيـع مقامـه وعظيـم جاهـه وتقرّبـه مـن أمـراء الأسرة الكالكـة - يظهـر في المجالـس مـن إمـارات البلـه ويُرسـل مـن نظـرات العتـه مـا جعـل الجميـع يؤكـدون أنـه خولـط في عقلـه..

وعظيمـة كانـت دهشـة مواطنيـه لمـا رأوه يومـا بعـد زيارتـه حـاضرة فرنسـا راجعـا وإلى جانبـه مرغريـت ربـة المسـارجح وملكـة الجـمال التـي كثـيرا مـا تقلـب حولهـا الشـبان الإفرنسـيون وطلبـوا خطـب ودهـا فلـم يجـدوا منهـا ميـلا..

وقـد قبلـت بهـذا المعتـوه زوجـا لهـا ليـس حبـا بـه، بـل طمعـا بثروتـه الوافـرة ظانّـة أنهـا تتمكـن مـن التلاعـب بـه تلاعبهـا بالكـرة، فزُفّـت إليـه وجـاءت معـه إلى إنكلـترا ولاقـت بواسـطة قرينهـا حظـوة كبـيرة أمـام الملـك وأعاظـم رجـال الإنكليـز.

حيـى كـما قلنـا الـسر بلانـكاي الحاضريـن ولم يحفـل بالإهانـة التـي وجّهـت إلى قرينتـه وقـد أظهـرت لـه هـذه اشـمئزازها وطلبـت إليـه أن يهتـم بالتعويـض عـما جـرى فـما كان منـه إلا أن طلـب خمـراص وأخـذ يـشرب مازحـا ضاحـكا.

أمـا مرغريـت فلـم تشـترك مـع زوجهـا بالـشرب اسـتياء وخرجـت مـن الفنـدق لملاقـاة أخيهـا عنـد الرصيـف القريـب ووداعـه قبـل ركـوب البحـر...

* * * *

كان الظلام حالكا والسكون مخيما في تلك الأرجاء فخرجت مرغريت من الفندق واتجهت نحو الرصيف متهادية بأنوار المصابيح المنيرة الشوارع ثم وقفت هناك تنظر إلى البحر المتلاطم الأمواج أمامها وفي قلبها ما فيه من الحزن الشديد. إن هي كذلك وإذا بها ترى عن بعد شبحا آتيا إليها فلم تتحققه بادئ بدء، ولكنها لم تلبث أن عرفته وصرخت والقلب يطفر فرحا:

- ارمان!

فأجابها القادم بصوت حنون:

- نعم أخوكِ أيتها الحبيبة آتٍ ليودعك قبل أن يركب البحر ويبتعد عنك.

قال هذا وضمّ مرغريت إلى قلبه ووضع على وجهها أحر القبلات الأخوية.

فسألته مرغريت عن سبب سفره فقال:

- واجبي نحو بلادي يدعوني يا مرغريت فلا بد من تلبية ندائه والذهاب للخدمة الشريفة.

- لا تذهب يا أخي، بل ابق أمامي وعلى مقربة مني لأني أخاف عليك من شر الأشقياء.. إني أعرفك جمهوريا مثلي وياما أحب لي الجمهورية، ولكن دعاة الجمهورية قد تعدّوا كل حد في فرنسا ولم يتركوا فظيعة إلا وأتوها تحت اسم الجمهورية الشريف، فلذا أستحلفك الله ألا تتركني وحيدة في هذه الديار فأموت تعيسة حزينة إذ لا تعزية لي سواك.

- ولكـن عهـدي بالـسر بـرسي قرينـك يحبـك ولا يقعـد عـن توفـير الهنـاء لـك!

- قـد كان يحبنـي قبـل الـزواج، ولكـن هـذا الحـب اسـتحال الآن إلى كراهيـة وجفاء.

- ومـا السـبب في ذلـك؟ أوقفينـي عـلى حقيقـة حالـك لـن راحتـك راحتـي وهنائـك هنـائي وتعبـك يـؤلم فـؤادي.. فهـل عـرف قرينـك أن لـك يـدا بالقبـض عـلى المركيـز سانسـير وأنـك شـاركتي بالوشـاية عليـه؟

- نعـم إنـه واقـف عـلى الحقيقـة يـا ارمـان ويعلـم أني قـد وشـيت بالمركيـز وأسرتـه إلى الثـوار وكنـت السـبب فيـما أصابهـم.

- وهل أخبرته عن السـبب الذي دفعك إلى هذا العمل؟

- لا سـبيل إلى إقناعـه بـبراءتي وقـد أخـبره المخـبرون بمـا كان، ومـن ثـم لقـد تحـوّل ذلـك الحـب العظيـم الـذي جمـع بـين قلبينـا إلى جفـاء أعظـم لا أدري كيـف تكـون الآخـرة.. لقـد ظننـت أن هـذا الغبـي سـيكون خـير آلـة أسـيّره كيفـما أريـد وأنتفـع بمالـه وغنـاه ولكـن خـاب ظنـي وأصبحـت وحيـدة في هـذه الدنيـا لا تعزيـة لي إلّاك يـا أخـي. أجـل أنـت سـلواي وبـك عـزائي فـلا تتركنـي بـل ابـق بجانبـي.

- إن واجبـا يتقاضـاني يـا مرغريـت، فـلا بـد لي مـن القيـام بـه حفظـا لـشرفي فـلا تشـدّدي عـليّ بالبقـاء.

- لـك مـا تريـد إذا، فقـط احـرص عـلى نفسـك ولا تدْمـش قلـب أختـك.. اذهـب عـلى الطائـر الميمـون ولترافقـك السـلامة في ذهابـك وإيابـك..

وبعد أن تعانق الأخوان وداعا ابتعد أرمان ووجهته الشاطئ وبقيت مرغريت مرافقة إياه بنظرها إلى أن غابت السفينة التي تحمله عن العيان..

وبعد ذلك غاصت في تأملات عميقة أعادت لها ذكرى ماضيها.. ذكرت تلك الأويقات الجميلة في فرنسا وتألب أبناء بيوتاتها الشريفة حولها رغبة في مرضاتها وكسب ولو لحظة من لحظاتها... ذكرت تلك الأسرة النبيلة أسرة المركيز دي سانسير التي عملت على هلاكها ولم تشفق عليها... ذكرت أسباب ذلك العمل الفظيع وكانت الذكرى تؤلمها.. لقد سلمت أفراد سانسير إلى أعدائهم تشفيا وانتقاما، ولكنها كانت بعيدة عن أن يخطر ببالها أنهم يلاقون حتفهم من جراء هذا التسليم.. سلمتهم إلى أعدائهم لأنهم أهانوها وأهانوا أخاها منذ مدة عندما كانت الملكية في عزها وكان الشراف مستبدين بأعمالهم لا يدعون الحق إلى أحد من متوسطي الحال أو الفقراء أن يرفعوا أنظارهم إلى عالي مقامهم وأهانوها وقد وجهت تلك الإهانة إلى القلب فلذا حفظها قلبها إلى أن جاء الوقت وقلب الدهر للملكيين ومليكم ظهر المجن فانتقمت لنفسها وكان الانتقام هائلا، أما الإهانة فكانت: أن أخاها أرمان شُغف بحب ابنة دي سانسير وأخذ يسعى وراء التقرّب منها، ولكن أين أسرته الخاملة من تلك الأسرة محتداص وشرفا؟ فصودف أن قدّم يوما إلى حبيبته هدية ظنا منه أنها تكون الواسة لمزيد من التقرّب بين القلبين، ولكن أسرة سانسير عندما علمت بأفكار أرمان ثار ثأرها وعدّت هذا العمل إهانة للأشراف وأوقفته عند حده بعد أن أسمعته من قوارص الكلام ما أدمى فؤاده وفؤاد شقيقته..

كانت تذكر مارغريت ذلك كله وهي واقفة على الرصيف محدقة ببصرها إلى البحر أمامها. وأخيرا سئمت من الذكرى وتركت مكانها راجعة إلى الفندق، ولكنها لم تخطُ بعض الخطوات حتى رأت رجلا أمامها يقول لها:

- سلاما أيها المواطنة.

فذهلت عند سماع هذه الكلمات المألوف استعمالها في فرنسا بين الثوريين وحدقت بمخاطبها بعرفته وقالت:

- شو فلان.. أهلا بك أيها الصديق.. فما جئت تعمله في هذه الديار الإنكليزية؟

أما الرجل الذي عرفته مرغريت صديقا قديما فهو أحد الغريبين اللذين كانا في الفندق وهو الذي خرج تاركا رفيقيه مختبئا تحت المقاعد وأجابها قائلاص:

- جئت لبعض مسائل هامة سوف تعرفينها.

قال هذا ونظر إلى ما حوله سابرا غور الظلام ومتأكدا من عدم وجود من يسترق السمع ثم قال:

- هل ترغبين في خدمة فرنسا؟

- كيف لا ومن يكره خدمة بلاده؟! فما تريد؟

- سمعت ولا بد بالزهرة الحمراء

- كل يعرفها يا شو فلان وقد أصبحت موضوع إعجاب النساء

الإنكليزيات اللواتي صرت يزيّن بها أثوابهن إحياء لذكرى ذلك البطل العظيم.

- أجل بطلٌ عظيم ولكنه أكبر عدو لفرنسا وجمهوريتها ورجالها المواطنين مثل أرمان أخيك. فلذا أصبح من الواجب عليك وأنت ابنة فرنسا أن لا تتأخري عن مد يد المساعدة إلى بلادك لرد كيد الأعداء عنها.

- أخي يقوم بهذا الواجب أما أنا فلا مقدرة لي على عمل شيء والبحر يفصل بيني وبين بلادي.

فأجابها بصوت مضطرب:

- أنتِ الوحيدة التي يُرجى المساعدة منها! أنت هنا في إنكلترا وبين أشرافها وفي بيوتاتها العظيمة ويمكنك بما لك ولزوجك من المقام الرفيع أن تخبرينا عن ذلك الشاب الذي يقود عصابة الزهرة الحمراء وهو لا بد من نبلاء الإنكليز. أما أنا فلقد تركت ديياري وجئت هذه البلاد لمثّل فيها الجمهورية الإفرنسية على عيون الناس. ولكن حقيقة العمل الذي جئت لأجله هو التفتيش عن الزهرة الحمراء والضرب على يده. فقد طالما بثثت العيون والأرصاد لأقف على أخباره، ولكن عبثا فعلت، فإنه لا يزال عاملا على تخليص الملكيين أعداء فرنسا مسهّلا لهم هكذا سبيل إنهاض أوروبا ضد جمهوريتنا الجديدة... فساعدينا إذا أيتها المواطنة. ساعدي فرنسا ضد أعدائها...

سمعت مرغريت ما يقول شوفلان وهي دهشة ذاهلة لا تدري ما تجيبه وهي التي طالما فاضت بمدح أعمال الزهرة الحمراء وأعجبت

بما يأتيه أمام مواطنيها من الأعمال التي يسطرها التاريخ بمداد الفخر والثناء على عالي همته وشجاعته وكثيرا ما حدثتها نفسها بتكريس قلبها له ولحبه لو وقع نظرها عليه، ولكن كيف لها أن تعرفه وهو الذي يعمل في الخفاء في سبيل الإنسانية كي لا تطول إليه يد الأشرار فيقف في نصف أعماله ويزيد الأشقياء على شرهم شرا؟؟

مرت في مخيلتها كل هذه الأفكار وهي شاخصة ببصرها إلى مخاطبها الطالب إليها السعي وراء البطش بهذا البطل العظيم ولم تنتبه إلا وشوفلان يقول لها:

- يا ابنة فرنسا ساعدي وطنك ضد أعدائه العاملين على خرابه.

- ولكن كيف تطلب إليّ أن أساعدك ولا حول لي ولا قوة على ذلك؟؟

- أنت ملكة إنكلترا جمالا وملكها وجميع نبلائها يسعون وراء مرضاتك وخطب ودك، فاهتمي في إهدائنا إليه وكفى.

- ولكن ألا تعلم أنه إنكليزي وأنك تقصر عن مد يدك إليه لو عرفته؟!

- لا تهمنا جنسيته في سبيل مصلحة بلادنا. فبعد أن نعثر عليه ونشفي منه غليلنا يمكننا الاعتذار إذا طولبنا بدمائه.

- إن ما تطلبه مني لفظيع وهائل ويستحيل علّ القيام به.

- فإذا ترغبين في أن تبقى الملكية رافعة أعلامها فوق ربوعنا وتُهاني أنت من زعمائها كما جرى لك منذ برهة؟!

بُهتت مرغريت بما سمعت وقد أصابتها هذه الكلمات في قلبها فعلا وجهها اصفرار وكادت تستشيط غيظا، ولكن كظمت ما في نفسها وقالت:

- كلا لا يمكنني أن أجيبك إلا طلبك فلا ترجُ مني مساعدو.

قالت هذا وابتعدت عن مخاطبها متجهة نحو الفندق.

أما شوفلان فإنه لم ييأس مما سمع وقال لها قبل أن تغيب عن أبصاره وابتسامة معنوية تعلو شفتيه:

- سنلتقي قريبا أيتها المواطنة. فلا أظن أن ما أسمعتنيه الآن هو كلامك الأخير. إلى الملتقى وموعدنا لوندره.

* * * *

عقب ظلام العشية ليلة قمراء ونجوم وضّاءة تتلألأ في كبد السماء. وكان يُرى في الطريق المؤدية إلى مدينة لوندره حاضرة البلاد الإنكليزية مركبة تنهب جيادها الأربع الأرض نهبا وفيها السر برسي بلاكناي واللادي مرغريت قرينته وهما يؤمان أم المدن بعد أن قضيا سهرتهما كما عرفنا في درفر.

أما فندق الصيادين وقد تركه اللورد وقرينته ودخلت إحدى غرفه الكونتة دي تورناي مع ولديها ليأخذوا لأنفسهم راحة من عناء السفر. فلم يبق في قاعت إلا اللورد أنطون والسر أندري، ولما تأكدا من خلو المكان وهدوء كل حركة حولهما أخذا يتحدثان آمنين من أن لا أذن منصته إلى ما يقولان فتحمله إلى الخارج.

فابتـدأ اللـورد أنطـون بسـؤال رفيقـه عـن سـفرته وعـما أتـاه مـن الأعـمال في سـبيل خـلاص الكونتـة فأجـاب أنـدري:

- لقـد كان النجـاح حليـف رئيسـنا في مهمتـه وتمكّـن بعـون اللـه تعـالى أن يخـترق صفـوف الثوريـين ويخـرج مـن أبـواب باريـس مبتعـدا عنهـا دون أن يعترضـه في طريقـه معـترض.

قـال هـذا ثـم تقـدّم مـن مخاطبـه وقـال لـه بصـوت خافـت لا يـكاد يُسـمع كأنـه يخـشى أن تلتقـط الجـدران حديثـه:

- سـتكون أنـت المسـافر المـرة القادمـة سـاعيا دورك في إتمـام مهمتـك وخـلاص أبنـاء جنسـك. فهـي إرادة زعيمنـا وقـد أسرّهـا إلي في مدينـة كالي حيـث عهـد إليّ الكونتـة دي نـورني آتيـا بهـا مـن باريـس هازئـا بأعدائـه الذيـن كلهـم عيـون مفتحـة ينتظـرون ولـو إشـارة تنـم بـه وبمـن يشـتم منـه رائحـة الملكيـة حتـى يبطشـوا بـه ولا يرحمـوا... أجـل لقـد تمكّـن بزيـه الغريـب وتحـت لبـاس عجـوز شـمطاء أن يمـر بعربـه الحاملـة الفاريـن مـن شـوارع باريـس وهـو يـصرخ مـع الثوريـين بمـلء رئتيـه: فليسـقط الملكيـون.. المـوت للخونـة.. الانتقـام مـن الأعـداء.. فكـن إذا عـلى أهبـة السـفر في اليـوم الثـاني مـن الشـهر القـادم. وقـد نبهنـي إلى أن أذكـر الإخـوان جميعـا بوجـوب التحـرّص والسـهر لئـلا يُكشـف سرنـا فنقـع فيـما لا تحمـد عقبـاه.. فالظاهـر أن الحالـة أضحـت حرجـة والحكومـة الإفرنسـية أرسـلت إلينـا مـن يمثّلهـا في بلادنـا عـلى زعمهـا.. ولكـن زعيمنـا يظـن أن حقيقـة مسـاعي هـذا الممثـل المدعـو شـوفلان سـتكون السـعي بالخفـاء وراء رفـع الغطـاء عـن أسرارنـا والوقـوف عـلى حالـة عصابتنـا والتعـرّف بأفرادهـا ليشـير إلى زملائـه

في فرنسا فيقبضون على زعيمنا وعلينا جميعا ويريحون بلادهم من الزهرة الحمراء... أما أوامره في المستقبل فسيعمل على تبليغنا إياها بالوسائط التي يراها موافقة فما علينا نحن إذا إلا الطاعة العمياء والإذعان لها.. وإليك ورقة منه توقفنا على الخطة التي يجب أن نسير بموجبها.

قال هذا وأخذ من محفظته ورقة صغيرة وتقدّم من المصباح ليقرأ ما فيها... وقد انهمك الاثنان بالقراءة حتى أنهما لم ينتبها إلى رجل زحف من تحت المقاعد ورفع رأسه مصيخا إلى ما يقولان ومتبعا بنظره الحاد جحركة شفاههما لكيلا تفوته فائتة مما يقرآن..

إن هم لكذلك وإذا بحركة وراء الباب استرعت سمعهما فأرادا استطلاع الخبر وإذا بالمنصت قد انتصب على قدميه وضرب السر أندري على رأسه ضربة أفقدته الرشد ثم فُتح الباب بغتة ودخل رجل مقنّع ضرب اللورد أنطون أيضا فخرّ إلى الأرض مغميا عليه ثم أخذ الغريبان الورقة التي كانت بين أيدي الرجلين مع ما وجداه في محفظتيهما وجيوبهما من الأوراق، وبعد أن فحصاها جيدا وضعها متقدمهما في جيبه وق علت وجهه ابتسامة الفوز والارتياح وأشار إلى رجلين كانا يحرسان الباب من كل طارئ مفاجئ أن يحملا المغمي عليهما بعد أن يشدّوا منهما الوثاق إلى لوندر، ثم خرج الجميع تاركين الفندق غائصا في هدوئه وسكينته. وقد كان ما كان بسرعة وخفة ورشاقة عجيبة حتى أن سكان الفندق لم ينتبهوا إلى ما جرى على مقربة منهم..

* * * *

كان ملعب الأوبرا في لوندره غاصا بالحضور وكلهم من نبلاء الإنكليز أتون لسماع غناء الجوقة التي ذاع صيتها واشتهر أفرادها بتوقيع الألحان الشجية. وبين الحضور كان يُرى شوفلان جالسا في مقصورته ينظر إلى ما حوله نظر المفتش عن شخص ولا يجده..

ولم نمض برهة حتى سمع حركة على باب الملعب ألفتت نظره فتطلع وإذا بالحضور يرحبون بالقادمين الجديدين وهما السر برسي بلانكاي وقرينته اللادي مرغريت فبرقت عيناه كأنه وجد في الداخلين ضالته المنشودة وتبعها بنظره وقد وصلا إلى المقصورة المعدة لهما فدخلت مرغريت وحدها وابتعد قرينها عنها منضما إلى رفاقه النبلاء يمازحهم حسب عوائده المألوفة..

فجلت مرغريت على مقعدها وقد أظهرت إلى الشبان الذين أرادوا التألب حولها رغبة في الانفراد إلى نفسها هذه الليلة فابتعد الجميع عنها وبقيت وحيدة لا أنيس لها إلا حركات الممثلين أمامها ولا سمير لها إلا ما كان يطرأ عليها من الأفكار، وكانت تُرى حزينة كئيبة كأن هموما أثقلت عواتقها غائصة في بحور من الهواجس والأفكار.

إن هي لكذلك وإذا بباب المقصورة يقرع قرعا خفيفا ثم فُتِحَ ودخل شوفلان الذي سرّ كما رأينا بحضور مرغريت وقد تحيّن فرصة انفرادها حتى سنحت فجاءها وأخذ مقعدا وجلس إلى جانبها داخل المقصورة بعيدا عن انظار الناس وقال بعد التحية:

- لي كلمة أيتها المواطفة أرغب في أن أقولها لك فهل تسمحين؟

وكأن دخـول الداخـل قـد قطـع عـلى مرغريـت مجـرى أفكارهـا فأجابتـه والاشـمئزاز يتبـيّن مـن نـبرات صوتهـا قائلـة:

- إني أرغـب في الانفـراد هـذه الليلـة فأرجـئ مـا تـود قولـه إليّ إلى وقـت آخـر.

- لا سـبيل إلى التأجيـل والسـاعات معـدودة والوقـت حـرج، ومـا جئـت إليـك إلا لـكي أخـبرك بـأن حيـاة أخيـك أرمـان في خطـر فاهتمـي بخلاصـه.

اضطربـت مرغريـت في داخلها لهـذه المفاجـأة، ولكنهـا تمالكـت عـن إظهـار اضطرابها إلى مخاطبهـا وقالـت:

- لا أرغـب في سـماع شيء منـك فـما إلا أحبولـة تـود نصبهـا لي لتوقعنـي في شرك شرّك.

قالـت هـذا ثـم سـكتت ناظـرة إلى المـسرح غـير مكترثـة بمخاطبهـا ولا بمـا سـمعت بشـأن أخيهـا، ولكنهـا مـا لبثـت أن قالـت:

- تزعـم أن الخطر يهدد أخـي. فأين براهينك المؤيدة صدق ادعائك؟

- تتذكريـن ولا بـد اجتماعنـا في دوفـر منـذ أيـام قلائـل.. وقـد طلبـت إليـك أن تمـدي يـد المسـاعدة إلى فرنسـا وطنـك فأبيـت وتوسّـلت إليـك باسـم بـلادك أن تعمـلي عـلى كشـف القنـاع عـن أعدائهـا السـاعين وراء خرابهـا فلـم تعـيري توسـلاتي أذنـا واعيـا ورددتنـي خائبـا.. وقـد سـعيت بعـد ذلـك وحـدي وراء الغايـة التـي جئـت البـلاد لأجلهـا وبثثـت العيـون والارصـاد في كل مـكان حتـى عـثرت بعـد أن افترقـت عنـك بـأوراق هـي بمـكان عظيـم مـن الأهميـة. وقـد اكتشـفت بواسـطتها أشـياء كثـيرة لم تكـن لتخطـر ببـال

أحـد وكلهـا تتعلـق بعصابـة الزهـرة الحمـراء. ومـن جملـة اكتشـافاتي أن أخـاك أرمـان الـذي عرفنـاه لليـوم مواطنـا مخلصـا للجمهوريـة هـو أحـد أعضـاء الزهـرة الحمـراء ويشـارك تحـت لبـاس الجمهوريـة أعـداء فرنسـا عـلى تخليـص الملكيـين منهـا.. أجـل عرفـت هـذه الأمـور، ولكنـي قـصرت عـن معرفـة كل مـا أريـده فـإن تلـك الأوراق الموقعـة بالزهـرة الحمـراء كانـت بعيـدة عـن أن توقفنـي عـلى شـخص الزعيـم واسـمه وكنيتـه فلـذا رجعـت إليـك راجيـا ألا تضنـي عـلى بـلادك بالمسـاعدة عـلى كشـف حقيقـة هـذا الرجـل الـذي هـو ولا بـد أحـد نبـلاء الإنكليـز...

- إنـك تطلـب إلي يـا شـوفلان أن أقـوم بخيانـة فظيعـة تأنفهـا كل نفـس أبيـة. فـلا تـرج منـي مسـاعدة واسـع وحـدك لعلـك تنجـح في مهمتـك.

- أطلـب منـك المسـاعدة فـلا تبخـلي عـلى بـلادك بهـا وإلا فـلا حيـاة لأخيـك بعـد الآن.

اصفـرّت مرغريـت عنـد هـذا الوعيـد وقـد تحققـت أن شـوفلان لا يرجـع أمـام كل فظيعـة في سـبيل مآربـه وأنـه سـيخبر ولا بـد رجـال الجمهوريـة في فرنسـا أن يقبضـوا عـلى أرمـان ويعدمـوه جـزاء خيانتـه.. فقالـت لـه:

- ومـا الذي يؤيد لي صدق ما تقول؟

- إليـك هـذه الورقـة فهـي واحـدة مـن كثـير مـا وجدتـه مـن الأوراق والتـي بينهـا ورقـة أخـرى تنـم بأخيـك وتثبـت خيانتـه.

فأخـذت مرغريـت الورقة المقدمة لها وقرأت ما يأتي:

« كونـوا عـلى حـذر واعلمـوا أن التحـرص أصبـح ضروريـا. فـلا نجتمـع إلا

نـادرا وفي الأماكـن التـي أعينهـا أنـا حتـى لا يُكشـف سرنـا. إنكـم تعرفـون تعليـماتي لليـوم الثـاني مـن الشـهر فاعملـوا بموجبهـا وإن أراد أحـد منكـم مزيـد إيضـاح فسـأكون في بيـت اللـورد ك. لحضـور الليلـة الراقصـة التـي يحييهـا قريبـا».

وكانـت هـذه الكلـمات موقعـة بالزهـرة الحمـراء، وبعـد أن قلبـت مرغريـت نظرهـا فيهـا وأعـادت قراءتهـا مثنـى وثـلاث ورباع التفتـت إلى شـوفلان معجبـة بمقدرتـه وقالـت:

- الاهتـمام هـذه الليلـة بتتبـع حـركات الـسر أنـدري وأنطـوني في بيـت اللـورد كرونفـل المشـار إليـه في الورقـة. إنهـما ولا بـد سيسـعيان جهدهـما وراء الاجتمـاع بزعيهـما ليخـبراه بمـا جـرى لهـما في فنـدق الصياديـن في دوفـر.. وهـذا هـو السـبب في إطلاقـي يسراحهـما بعـد أ كانـت مشـدودي الوثـاق أسـيرين في مـكان يحرسـهما فيـه رجـالي.. فتتبعـي إذا حركاتهـما وابـذلي قصـاراك لأن تعـرفي مـن هـم الأشـخاص الذيـن سـيجتمعون بهـما وبذلـك تكسـبيت رضى الجمهوريـة وحيـاة أرمـان.

- وهـل تعـدني بالإفـراج عـن أخـي وإرجـاع الأوراق التـي تنـم بـه إليّ لـو أذعنـت لمطالبـك وعملـت بمـا تريـد؟؟

- إني أعدك باسـم فرنسـا بألا أمد يد سوء إلى أخيك.

ومـا انتهـى مـن كلامـه حتـى دخـل الـسر بـرسي بلاكنـاي وبعـد أن حيـا السـفير دعـا امرأتـه إلى الخـروج فلبـت دعوتـه، وقبـل أن تبتعـد عـن شـوفلان قالـت لـه:

- إلى الملتقى بعد ساعة واحد في بيت اللورد كرونفيل.

أما شوفلان فقد رافقها بأنظاره وابتسامة الفوز والظفر تعلو شفتيه..

* * * *

اللورد كرونفيل هو كاتم أسرار الوزارة الخارجية في إنكلترا وقد أحيى في بيته ليلة أنس جمعت ولي العهد وعظام رجال الدولة الإنكليزية ونبلاءها. وكان السرور مخيما والفرح شاملا والحاضرون طربون يرقص البعض منهم على أنغام الموسيقى التي كانت تُعزف والبعض الآخر يشربون من الخمور المقدمة إليهم، ومنهم من كانوا يلعبون بالورق. وكانت مرغريت بجمالها الرائع ملكة الحضرة تبسم لهذا وتضحك لذاك وتجيب كلا إلى كلامه بكل لطف وعذوبة، وقد أثعجب الجميع بما أوتيته من جمال الهيئة ورشاقة القد وطلاقة اللسان والمحيا...

ولكنها رغما عن السرور الذي يحتاطها.. رغما عما يبدو على ظاهرها من الأفراح فإنها كانت حزينة النفس في داخلها قلقة الأفكار من جهة أخيها تود تخليصه من بين براثن الثوار ولا تدري ما العمل. وقد تتبعت حركات اللورد أنطوني والسر أندري ليس فقط إذعانا لإرادة شوفلان بل رغبة منها في أن تعرف هي أيضا الذي أصبح موضوع حديث القوم في جلساتهم. وقد طال بها أمر الانتظار وكادت تمله لولا أنها رأت فجأة ما أثلج قلبها وجعلها أعينا مفتحة محدقة باللورد أنطوني كي لا يفوتها فائتة من حركاته.

رأت رجلا دسّ في يد اللورد ورقة صغيرة ومضى في سبيله دون أن يشعر به أحد.

أما اللورد فإنه بعد أن أخذ الورقة ترك الراقصين وذهب إلى غرفة خالية فتتبعت مرغريت خطاه ودخلت بخفة وراءه فرأته واقفا على مقربة من الشموع المنيرة الغرفة وبين يديه الورقة الصغيرة يقرأ ما فيها. فأرادت التقدّم منه، ولكنه أشعر بها والتفت وقد علت وجهه علائم البغتة. أما هي فإنها لم تدعه يظن بها سوءا وهي شهيرة المواقف على مسارح التمثيل، فرفعت يدها إلى رأسها وارتمت على مقعد قريب منها كأنها أصيبت بدوار وصرخت متوجعة.

أما اللورد فقط هدأ روعه وتأكد أن القادم لم تأتِ لكشف سره وتقدّم منها وقال:

- إني أراكِ تعبة متوجعة يا سيدتي.. فهل تريدين شيئا لآتيك به؟

- لا حاجة لي إلا راحة آخذها قليلا لنفسي بعيدة عن كل حركة. فقد كدت أختنق في القاعة هناك.

قالت هذا وأغمضت عينيها.

أما اللورد فبعد أن نظر إليها برهة ورأى منها عدم انتباه إليه.. رفع الورقة التي بين يديه فوق لهيب الشمعة ليحرقها.

ولكن مرغريت التي كانت ترقب خفية أعماله انتصبت فجأة على قدميها وتقدّمت منه وخطفت الورقة من بين يديه قبل أن ينتبه إليها فيمنعها وقد اصفر اصفرارا هائلا واحتار في أمره أمام هذا الحادث.

فقالت له وهي تبتسم:

- شكرا لك يا لورد لقد خففت آلامي برائحة الورق المحروق فكأني

بـه دواء ناجعـا لـدائي.

فلـم يحـر اللـورد جوابـا وكان مصفـر الوجـه مضطـرب العينـين شـاخصا ببـصره إلى مخاطبتـه حائـرا في أمـره.

فأردفت مرغريت قائلة:

- مـالي أراك كثـير الاضطـراب يـا لـورد ولعلـك تخـاف أن أقـف عـلى سر غرامـك فتحقـد عليـك حبيبتـك لاطـلاع غـيرك عـلى كتاباتهـا لـك.. إن هـذه الورقـة تحمـل إليـك ولا بـد عواطـف مـن يحبهـا قلبـك. أليـس كذلـك؟

قالـت هـذا ونظرت إلى الورقة لتقرأ ما فيها.

فاندفـع إليهـا اللـورد ولم يحفـل بـأدب المجاملـة وأراد أن يخطـف الورقـة مـن مرغريـت قبـل أن تلقـي نظـرة عليهـا، ولكنهـا عرفـت إرادتـه قبـل أن يصـل إليهـا وتراجعـت إلى الـوراء فعـثرت بالطاولـة وعليهـا الشـموع المضـاءة فقلبتهـا إلى الأرض وكاد اللهيـب يحـرق مـا يصـل إليـه مـن السـجاد فاضطـر اللـورد مرغـما أن يـترك مرغريـت ويصلـح مـا كان بإطفـاء النـار خوفـا مـن حـدوث مـا ليـس بالحسـبان. وكانـت هـذه الآونـة كافيـة لأن تلقـي مرغريـت نظـرة عـلى الورقـة وتفهـم فحواهـا. ومـا انتهـى اللـورد مـن عملـه حتـى قدمـت إليـه ورقتـه كأنهـا لم تـر ولم تفهـم شـيئا وقالـت:

- خـذ رسـالتك ولا حاجـة لي بمعرفـة سرك. فلـم يكـن عهـدي بـك غيـورا كثـير التحـرّص عـلى إخفـاء حبك..

فأخـذ اللـورد الورقـة وهـو يتنفـس الصعـداء وبعـد أن نظـر إلى مرغريـت نظـر منتقـد فاحـص هـدأ روعـه وسـكن مـا بـه لأنـه تأكـد أنهـا لم تقـف

عـلى سره. فتمتـم بعـض كلـمات الاعتـذار وذهـب إلى الشـمعة وأحـرق الورقـة ثـم تـرك الغرفـة وانضـم إلى الجمـوع الراقصـة.

أمـا مرغريـت فبقيـت وحدهـا وقـد غاصـت في بحـور مـن الأفـكار بعـد أن عرفـت مـا في الورقـة وقـد قـرأت فيهـا مـا يـأتي:

«ساسـافر غـدا بنفـسي. إن كان لكـم مـا تقولونـه تعالـوا إليّ السـاعة الواحـدة تمامـا بعـد انتصـاف الليـل فسـأكون وحـدي في غرفـة الطعـام»..

وتحت هذه الكلمات رأت رسـم الزهرة الحمراء...

السـاعة الواحـدة وقـد دقـت منـذ هنيهـة السـاعة الحاديـة عـشرة فالوقـت إذا متسـع لأن تـترك مرغريـت لأفكارهـا العنـان...

عرفـت مـا عرفـت وقـد شـعرت في نفسـها رغبـة شـديدة في اكتشـاف سر مـن طالمـا منـت النفـس بمعرفتـه... ولكـن هـل تبقـي سرهـا لهـا أم تشـارك بعملهـا شـوفلان عـدوّ الزهـرة الحمـراء اللـدود؟ ...

كلا إنهـا تـأبى أن تقـترف هـذا الاثـم الفظيـع وتزيـد جريمـة فـوق خيانتهـا السـابقة... ولكنهـا مـا لبثـت أن تمثّـل أمـام عينيهـا أخاهـا أرمـان معلّقـا عـلى المشـنقة وهـو يـصرخ بهـا قائـلا «أيتهـا الأخـت الخائنـة... انظـري إلى مـن ادعيـت حبـه فهـو يمـوت بسـببك.. كلمـة واحـدة مـن فمـك تكفـي لتخليصـه مـن المـوت، ولكـن أبيـت عيلـه هـذا الخـلاص لأجـل رجـل غريـب لم ولـن تعرفيـه أبـدا»...

تمثّـل كل هـذا أمـام عينيهـا وقـد خـارت قواهـا واحتـارت كيـف التدبّـر أمـام العاملـين اللـذان يتقاذفانهـا... عامـل الأخـوة وعامـل الوطنيـة.. وأخـيرا

تركت الغرفة وقد نودي إلى الطعام وانضمت إلى الحضور لتشاركهم في الأكل..

* * * *

كان الهناء مخيّما في ردهة الطعام والجميع بين شرود وحبور يأكلون ويتجاذبون أطيب الأحاديث ومرغريت مالكة القلوب بجمالها الفتان ولطيف معشرها.. ولكن على الرغم من ابتسامها لهذا وحديثها مع ذاك كانت قلقة مضطربة في داخلها تود لو تدق الساعة الواحدة فتكشف سر من طالما رغبت في معرفته.

وأخيرا انتهى الجميع من الأكل ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الطرب واللهو واللعب وجلست مرغريت بعيدا معتذرة إلى من يريد مجالستها أنها تعبة منهوكة القوى تودّ راحة. وهكذا كانت وحدها تنظر بلهفة إلى الساعة وعقاربها وتعد دقاتها وثوانيها وتتلهف إلى قرب الموعد المضروب لاجتماع الزهرة الحمراء بأعوانه في غرفة الطعام فتراه وتبرد نيران شوقها بمعرفته.

إن هي لكذلك وإذا بشوفلان يتقدّم منها فاكفهر وجهها حالما وقع نظرها عليه واضطربت خصوصا لما سمعته يسألها عن نتيجة مراقبتها.

فلم تجبه مرغريت بادئ بدء وأرادت كتمان ما اكتشفته ولكنها ما لبثت أن تمثّل أمامها أخاها وما ينتظره من الشقاء لو أصرت على الكتمان فأجابت أخيرا مخاطبها قائلة:

- لم يسعدني الحظ بالعثور على ضالتك المنشودة ولكني قد تمكّنت

مـن معرفـة أشـياء تهديـك عـلى مـا أظـن إلى مـا تريـد.

- وما تكون هذه الأشـياء؟

- لقـد قـرأت بطاقـة أرسـلها الزهـرة الحمـراء إلى اللـورد أنطـوني وفيهـا يقـول لـه: «إني مسـافر غـدا. إذا كان لكـم مـا تقولونـه لي وافـوني إلى غرفـة الطعـام فـإني سـأكون فيهـا السـاعة الواحـدة تمامـا».

اكتفـى شـوفلان بمـا سـمع وابتعـد عـن مرغريـت وهـو يقـول: يكفينـي مـا سـمعته الآن وعـليّ التتمـة.. ثـم دخـل غرفـة الطعـام والقلـب منـه يخفـق خفقانـا لا نـدري مـا يكـون، أهـو خفقـان رعـب أم فـرح؟. كيـف لا وفي هـذه القاعـة سـيلتقي بمـن تـرك بـلاده لأجلـه وقـد طالمـا بـثّ العيـون للوقـوف عـلى حقيقتـه.. سـيرى ولا بـد الزهـرة الحمـراء عـدوه اللـدود ويشـبع نظـره بالتحديـق بـه حتـى لا يغيـب عـن مخيلتـه ويعمـل بعـد ذلـك عـلى مطاردتـه مختطـا لنفسـه الخطـة الموافقـة للقبـض عليـه..

دخـل الغرفـة ولأول نظـرة أرسـلها إلى داخلهـا رأى السـكينة مخيمـة فيهـا فاتجـه نحـو مقعـد وإذا بغطيـط نائـم أوقفـه فالتفـت ورأى الـسر بلانـكاي ممـددا عـلى المقعـد وهـو مغمـض العينـين فاتـح الفـم غائـص في نـوم عميـق.

فعلـت شـفتيه ابتسـامة هـزء وسـخرية وجلـس عـلى مقعـد آخـر وأغمـض عينيـه متظاهـرا بالنـوم ومتأكـدا أنـه مـع الأبلـه النائـم عـلى مقربـة منـه لـن يحـولا دون اجتـماع الزهـرة الحمـراء بأعوانـه.

أما مرغريت فكانت قلقة البال مشوشة الأفكار تنظر إلى باب الغرفة بلهفة منتظرة خروج شوفلان لتعرف ما كان، ولكن عبثا انتظرت فقد مضى الوقت ودقت الساعة الواحدة ولا من جديد في الغرفة أو من مخبر بقرب قدوم أحد فقلقت لذلك وتجاذبتها أفكار وأفكار. وأخيرا لما عيل صبرها قامت وذهبت إلى غرفة الطعام ودخلتها لترى بنفسها ما كان من شوفلان، وما تقدّمت بضع خطوات حتى رأت زوجها وقد انتبه من نومه يدعوها إلى الذهاب إلى البيت ثم سبقها لإعداد المركبة. فاغتنمت مرغريت هذه الفرصة وسألت شوفلان عما رأى فأجاب:

- وعدت ولا بد من البر بوعدي فإني سأعمل على تخليص أخيك حالما أقف للزهرة الحمراء على أثر ولعلّ هذه الليلة كانت مهديتي إلى السراط المستقيم.. لم أجد أحدا في غرفة الطعام إلا زوجك وكان غائصا في سباتٍ من النوم ولم يأتها في الموعد المضروب أحد. فإن كانت مساعيّ قد حبطت اليوم فلا بد من النجاح غدا وإن غدا لناظره قريب. لقد قرأتِ في البطاقة أن الزهرة الحمراء مسافر بنفسه غدا إلى فرنسا فسأكون مع جواسيسي لكل من يركب البحر أتبع من ظله باذلا قصاراي في معرفته واقتفاء خطاه ووجود المحلات التي يلجأ إليها في بلادنا وهي كما عرفت من الأوراق اتي بين يدي مأوى لعصابته الشريرة.. أما أخوكِ فتأكدي أنا لن نمسّه بسوء أبدا وسيكون بين يديك حالما نقبض على عدونا اللدود.

وما انتهى شوفلان من حديثه حتى وصل مع مرغريت إلى الباب الخارجي فحياها وابتعد وركبت هي المركبة إلى جانب زوجها.

على بعد بضعة أميال من لوندرة في وسط بقعة من الأرض خصها الله بعبير الهواء ونمير الماء كان قائما قصر بلانكاي وهو بناءٌ فخم يناطح السماء بعالي أبراجه تحتاطه الأشجار الباسقة الأغصان وتحتها تجري مياه النحر مسمعة لجريانها هديرا يملأ القلب سلوانا وعزاء.

فغليه كان السر بلاكناي ذاهبا مع قرينته بعد تلك الليلة الساهرة التي أحييت في بيت اللورد كرونفيل. وكان الجو صافي الأديم والقمر مشعشعا في كبد السماء والكواكب تتلألأ مبهرة الأنظار بلمعانها والهواء يهبّ من وقت إلى آخر عليلا فيلفح وجهي راكبي العربة والسكون سائدا لا يعكّر صفوه إلا وقع حوافر الخيل على الطريق.

وكان السر بلانكاي جالسا إلى جانب امرأته ماسكا بأيدس من حديد أعنة الجياد وهو محدقٌ ببصره الحاد إلى الأمام غير مهتم بالتي كانت إلى جانبه تتقلب على أحر من الجمر طالبة ولو نظرة واحدة من نظره.

أما مرغريت فكانت غائصة في بحور من الهواجس والأفكار وقد عاودتها ذكرى أيامها الماضية وما كانت عليه مع قرينها في أول عهده بها وعظيم محبته لها ثم تحوّل تلك المحبة إلى جفاء وكراهية على أثر ما سمعه عنها من الخيانة... مرّت في مخيلتها تلك الذكرى المؤلمة فأدمت فؤادها، وكانت ترسل إلى قرينها من آن إلى آخر نظرات ملؤها التوسّل والمحبة والحنان لعلها تلتقي بمثلها منه فتفرج ما بها وتعزي قلبها الكسير. ولكن الفشل كان ملازمها في نظراتها وزوجها إلى جانبها شاخص البصر في الفضاء أمامه غير منتبه إلى نظرات زوجته أو منتبها

لها، ولكن قلبه لم يكن يلين أو يعطف. فانتقلت بها الأفكار من الماضي إلى الحاضر وذكرت ما عملته هذه الليلة ووعدها الجاسوس الإفرنسي بأن تكشف له القناع عن حقيقة حال الزهرة الحمراء وتسلمه إياه إذا وجدت إلى ذلك سبيلا... ذكرت هذه الخيانة الجديدة التي لا عفو لها يُرتجى. وأي خيانة أعظم من أن يعمل الإنسان على خيانة صحبه وذويه، بل وبلاده بتسليمه أبطل أبطالها الذي هو للإنسانية خير نصير والآخذ على عاتقه تخليص المظلومين من ظلم ظالميهم رغم ما يعترضه من العقبات والأخطار إلى ألدّ أعدائه المضمرين له البغض القتال ولالمهخيئين له ولعصابته أفظع الميتات تشفيا وانتقاما.

فماذا يكون موقفها يا ترى أمام قرينها لو درى بهذه الخيانة الجديدة؟ ... إنه ولا بد ينبذها نبذ النواة ويمقتها مقتا، بل ويبعد عنها بعدا لا أمل بعده بالتقارب.

كانت تتوارد عليها هذه الأفكار وهي هائمة الأبصار قلقة البال تودّ لو تجد مخرجا من هذا المأزق الحرج وكثيرا ما همت بالاعتراف إلى قرينها بجرائمها وكشف له مكنونات صدرها فتنزاح عنها الهموم المثقلة عواتقها ولكن الأنفة كانت تحول دائما دون إتمام عملها..

وصلت المركبة أخيرا إلى القصر وولجت الباب الكبير ونزل منها القادمان فتراكض الخدم رغما عن تقدّم الساعة من الليل واستقبلوا سيدهم مرحبين وسعى كل منهم للقيام بما تتطلبه مهنته من إدخال العربة إلى مكانها وإيواء الجياد إلى إصطبلها.

أمـا الـسر بلانـكاي فإنـه تبـع الخـدم ليـشرف عـلى أعمالهـم وتقدّمـت مرغريـت مـن شـجرة في الحديقـة وجلسـت عـلى مقعـد تحتهـا لتأخـذ لنفسـها راحـة بعـد عنـاء السـفر..

ولم تلبـث أن رأت زوجهـا مـارا عـلى بعـد مـن المـكان التـي هـي فيـه وهـو غائـص في بحـور مـن الأفـكار. فنادتـه باسـمه بلهجـة عذبـة رقيقـة.

وكأن الـسر بـرسي لم يكـن لينتظـر مثـل هـذا النـداء فأجفـل في مكانـه خصوصـاص لمـا تبـين لهجـة الصـوت وعـرف أنـه صـوت امرأتـه فالتفـت وإذا بمرغريـت مـادّة يديهـا متوصلـة إليـه أن يلبـي نداءهـا. فتقـدّم منهـا وقـال:

- ناديتني يا سـيدتي فمري وترينني أطوع لك من بنانك.

فبادرته مرغريت بابتسـامة سـاحرة وقالت وفي صوتها نبرات غنج ودلال:

- الا تبقـى قليـلا عـلى مقربـة منـي يـا بـرسي غنتحـدث ونتحـادث ونتشـاكى همومنـا ونكشـف مـا في قلوبنـا مستشـهدين علينـا هـذا القمـر المشعشـع فـوق رؤوسـنا. أترغـب في ذلـك أم تضـنّ عـليّ بهـذه الأمنيـة فتزيـد هـما عـلى همومـي الكثـيرة؟

- مـا لي ولـك أيتهـا السـيدة فالسـاعة مـن الليـل متقدمـة وأرى مـن نفـسي شـوقا إلى الالتجـاء إلى سريـري، أمـا أنـت فلـك مـن الوحـدة والانفـراد بـين هـذه الزهـور خـير جليـس وأنيـس.

قال هذا وأراد الابتعاد عنها فأمسكت بيده وهي تقول بأعذب ما عندها:

- لا تهب يا برسي. بل ابقَ إلى جانبي فلي ما اقوله لك... أنسيت تلك الأيام التي كنت فيها إليّ أحب من كل حبيب تتألم لآلامي وتُسر لسروري، بل وتموت وتحيى لكلمة تخرج من فيّ. أنسيتها وهي التي جمعت بيننا فكنت لي زوجا وكنت لك قرينة... فما هذا البعاد وما هذا الجفاء وفي قلبي نارٌ من الحب مضطرمة...

- دعيني وشأني أيتها السيدة فإن عملا لك ماضيا حال دون تبادل الحب بين قلبينا.. أنسيتِ أنت أيضا أن بعد أيام قلائل من زواجنا كنتُ موضوع هزء القوم وسخريتهم للخيانة التي كنتِ أنت ارتكبتها؟ ... أنسيت أن الأصابع كانت تُمد إيلنا أنّى ذهبنا وكيفما توجّهنا ولسان حالها الهزء بي لتقربي من خائنة مجرمة سفاكة.. ذلك هو أيتها السيدة سبب النفور بيننا وهذا هو قاطع حبل الحب بين قلبينا.. ولا سبيل إلى رتق الخرق فهو متسع...

- لقد سمعت قصتي من الغرباء وأنزلت بي هذا الحكم الجائر دون أن تعرف حقيقة الأمر.. لم تعرف السبب الذي من أجله أقدمت على إفشاء سر أسرة سانسير. أجل إنك بقيت جاهلا كل هذا ولو وقفت على الحقيقة لعذرتني، بل لأشفقت عليّ أنا التعسة... إن تلك الأسرة الشريفة قد أهانت أخي الذي لا أحد لي على الأرض سواه.. أهانته إهانة لا تغتفر وقد أدمنت هذه الإهانة مني الفؤاد أنا الشقيقة المحبة فأضمرت لها البغضاء وأفشيت بسرها انتقاما، ولكن لم يكن

عهـدي بهـذا الإفشـاء أنـه يـؤدي إلى المقصلـة وأن انتقامـي سـيكون بهـذا المقـدار فظيعـا.. سـعيد بعـد أن عرفـت مـا كان ينتظـر هـذه الأسرة مـن العقـاب وراء تخليصهـا، ولكـن الوقـت كان قـد فـات وذهـب سـعيي أدراج الريـاح...

مـا أتـت مرغريـت عـلى نهايـة كلامهـا حتـى انخرطـت في بـكاء كانـت تهطـل فيـه الدمـوع الغزيـرة وقـد تـورّد خداهـا وأكسـبتها هـذه الحالـة جـمالا باهـرا..

كان الـسر بـرسي أمامهـا واقفـا وقـد رأى منهـا مـا رأى فتغـيّرت ملامـح وجهـه وتحركـت فيـه عواطـف الحـب والشـغف وكاد يرتمـي عـلى قدميهـا مسـتغفرا، ولكنـه تمالـك نفسـه وبقـي في مكانـه جامـدا.

أمـا مرغريـت فبعـد أن مسـحت دموعهـا قالـت كأن خاطـرا قـد جاءهـا فجـأة:

- لقـد أردت محادثتـك يـا بـرسي بأمـر مـن الأهميـة بمـكان عظسـم فهـل ترغـب في سـماعه؟

- كلي آذان مصغية يا سـيدتي فتكلمي.

- إن خطـرا عظيـما يتهـدد أخـي أرمـان لكتـاب أرسـله عـن طيـش إلى الـسر أنـدري، وقـد وقـع هـذا الكتـاب بـين أيـدي أعدائـه فاتخـذوه سـلاحا قويـا ضـده واتهمـوه بمـا يـورده مـوارد الهـلاك، بيـد أن شـيئا واحـدا يمكنـه أن يشـفع لـه وهـو...

وهنا كادت مرغريت تبوج لزوجها باتفاقها مع شوفلان ولكنها تمالكت وأردفت:

- إن ساعات أرمان معدودة يا برسي. فهل لك أن تساعدني على تخليصه ؟

قالت هذا وأجهشت بالبكاء...

اصفر وجه السر برسي عند سماع هذه الكلمات الأخيرة وقال لمخاطبته:

- كفكفي دمعك أيتها السيدة وأوقفيني على جلية الأمر لعلي أتمكن من تفريج كربتك والعمل بما تريدين.

فاضطربت مرغريت أملا وقالت:

- إنك القادر على تخليصه بما لك من المقام الرفيع والكلمة النافذة في البلاط الملكي. والخطر يتهدد أرمان من جهة الجمهورية الفرنساوية.. فلا تضن عليّ بالمساعدة فتكسبني منة أذكرها أبد الدهر.

- ولكن لصديقك شوفلان نفوذا أيضا في بلاده فيمكنه خدمتك أجلّ خدمة أمام حكومته فلم لا تقصدينه؟

- كيف أقصده وهو الذي يتهدد ويتوعد وقد جعل لرأس أخي ثمنا لا أدري كيف الحصول عليه.. فإنه طلب إليّ لقاء خلاص أرمان أن أسلّم إليه...

قالت هذا وسكتت فجأة مخافة أن تفشي برسها فتسوء الحالة ويعرف قرينها خيانتها الفظيعة.

أما السر بلانكاي فكأنه لاحظ منه ارتباكا وعدم رغبتها في إباحة سرها وكشف مكنونات صدرها.. قال لها:

- دعي سرك لك أيتها السيدة وكلي أمر أرمان إلي فلن أقعد عن تخليصه من بين أيدي مطارديه وتأكدي أن لا خطر بعد الآن عليه أبدا.

قال هذا وابتعد عنها مسرعا وجهته القصر.

أما مرغريت فشيعته بنظرها والأمل يملأ قلبها ثم شخصت بدورها إلى القصر وأوت إلى غرفتها.

* * * *

ما ولجت مرغريت غرفتها حتى لاقتها الوصيفة وقد قلقت لطول غياب سيدتها وقالت لها:

- لقد دقت الساعة الخامسة بعد منتصف الليل يا سيدتعي ولا بد أن يكون التعب قد أنهك قواك ودبّ النعاس في جفنيك.

فأجابتها مرغريت:

- بالحقيقة إني تعبة منهوكة يا لويزا فساعديني على خلع ثيابي فقط واذهبي إلى غرفتك لتأخذي لنفسك راحة، فسآوي إلى سريري دون مساعدتك.

قالت هذا وأتبعت كلامها بإشارة أوقفت الوصيفة عن المراجعة. فعملت هذه بإرادة سيدتها ثم تركتها بعد أن تمنّت لها ليلة سعيدة.

أما مرغريت فإنها ما خلا لها المكان حتى ذهبت إلى النافذة المطلة

على الحرش وراء القصر وفتحتها بعد أن رفعت الستائر واتكأت عليها مدعمة رأسها بيديها ثم أخذت تسرح طرفها في الظلام المدلهم أمامها وقد بدأت جيوش الفجر تهتك ستره وتركت لأفكارها العنان..

فكرت وبأي الأمور عساها تفكر إلا بمراجعة سجل أعمال يومها الذاهب متنقلة بأفكارها من شوفلان واتفاقها معه على أمر يسقطها لو اكتُشف من أعين من يجلّونها ويعظّمونها ويسعون وراء خطب ودها.. إلى أرمان شقيقها الذي لأجله فعلت ما فعلت وفي سبيل محبته تكاد تضحي سمعتها وقد قبلت على نفسها خيانة تزيد في همومها وشجونها... إلى زوجها الذي كان آخر عمل لها معه وعده بإنقاذ أخيها من المأزق الحرج الذي هو واقع فيه وتخليصه من الخطر المحدق به...

بقيت مدة على هذه الحالة ولم تنتبه إلا إلى حركة حدثت على مقربة من باب غرفتها فأرعت سمعها.. أضاخت بأذنيها لعل الحركة تتجدد فتعرف مصدرها ولكن لم يحدث شيء ورجع القصر إلى ما كان عليه من الهدوء والسكينة.. نظرت إلى الساعة فإذا عقربها على النصف بعد السادسة والقوم في القصر نيام. فما تكون إذا تلك الحركة التي سمعتها يا ترى؟

تركت النافذة وتقدّمت من الباب بخفة ثم رفعت مزلاجه ونظرت إلى الخارج يمينا وشمالا فلم تر ما ينبئ بوجود أحد فأرادت التقدم لعلها تكتشف شيئا وإذا بغلاف أبيض على الحضيض أمامها فجمدت في مكانها حائرة ولم تجسر على التقاطه ظانة نفسها حالمة وأخيرا انحنت

وأخذتـه بأطـراف أناملهـا، ومـا وقـع عليـه نظرهـا حتـى عرفـت أن الخـط خـط زوجهـا وهـو معنـون باسـمها ففضتـه لـترى مـا فيـه وقـرأت مـا يـأتي:

« أيتها السيدة،

لقـد اضطرتنـي الظـروف إلى الذهـاب حـالا إلى الشـمال لتعهـد بعـض أشـغال لي هنـاك. ولسـت في سـعة مـن الوقـت لأقـوم بوداعـك فلـذا أرجـو منـك المعـذرة مؤكـدا لـك إخـلاصي.. هـذا وإني أرغـب إليـك أن تنـوبي عنـي بالاعتـذار أمـام ضيوفنـا يـوم الأربعـاء في الليلـة السـاهرة التـي أنـت عازمـة عـلى إحيائهـا. إلى الملتقـى القريـب.

برسي بلانكاي»

قـرأت مرغريـت الكتـاب مثنـى وثـلاث ورباع وهـي حائـرة في أمرهـا لا تـدري كيـف تـؤول هـذا السـفر السريـع.. أن للسر بلانـكاي أمـلاكا وأطيانـا في الشـمال وهـو يذهـب عـادة لتعهّـد الأشـغال فيهـا ولا عجـب مـن ذهابـه اليـوم أيضـا.. إنمـا العجـب العجـاب في الأمـر هـو أن بـرسي لم يذكـر لمرغريـت شـيئا عـن سـفره قبيـل هنيهـة عندمـا كانـت وإيـاه في الجنينـة ولا يعقـل أن يكـون تلقـذى خـبر الإسراع في السـفر بعـد مفارقتـه إياهـا، فـلا بـد إذا مـن سر في أمـر هـذه الرحلـة.

دفعهـا الفضـول إلى اكتشـاف هـذا السـر فاندفعـت في أروقـة القـصر دون أن تنتبـه إلى أنهـا لا تـزال في قميـص النـوم، ثـم نزلـت السـلالم إلى أن وصلـت إلى بـاب القـصر فوجدتـه مقفـلا عـلى عادتـه لأن الوقـت لم يحـن لفتحـه، ولكنهـا سـمعت وراءه حركـة ووقـع حوافـر جيـاد عـلى البـلاط فللحـال

عالجت لأيدٍ مرتجفة مغلاق الباب وتمكّنت بعد العناء وإدماء البنان من فتحه وتقدّمت وإذا بها ترى في الباحة جوادين مطهمين يمسك السائس بعنانيهما.. ولم تلبث أن رأت زوجها آتيا فهرولت نحوه وقالت وفي صوتها نبرات حنق:

- إنك ذاهب على ما أرى فأين هي وجهتك؟

فأجابها زوجها قائلاص:

- لقد سبق وأخبرتك أن أشغالا هامة تدعوني إلى الشمال.

- وضيوفك غدا؟

- لقد سألتك في كتاب أن تعتذري لي أمامهم متأكدا أنك ستكونين خير ملاقية لهم ومرحبة بهم.

- ألا يمكن إرجاء سفرك إلى ما بعد الوليمة؟

- أبدا.. فقد أخبرتك أن الظروف تضطرني إلى الإسراع فوداعا.

- ولكن متى تكون أوبتك؟

- في أواخر الأسبوع.

قال هذا وأراد الابتعاد، ولكن مرغريت أمسكت بأثوابه قائلة:

- لا تذهب قبل أن تخبرني عن السبب الذي دعاك إلى مبارحة القصر في مثل هذه السرعة... إنك ولا بد تخفي عليّ امورا كثيرة يحق لي أن أقف عليها بمثابتي امرأتك وشريكة حياتك. فأخبرني بالله عما أنت فاعل.

- ارتكيني ودعيني وشأني الآن فلأشغالي علاقة كبرى بشقيقك أرمان.

- ولكن ألا تعرّض نفسك لخطر ما؟

- كلا فإن الخطر بعيد عني بعد الأرض عن السماء.

وكأن هذه الكلمات خففت هموم مرغريت فتركته مودعة.

فعلا برسي متن الجواد وابتعد عنها وهي تشيّعه بنظر ملؤه الآمال.. كيف لا وزوجها وعدها بإنقا أخيها وهو الآن يخبرها أن لرحلته عاقة بأخيها؟

ثم لما غاب برسي عن العيان رجعت مرغريت إلى غرفتها وبعد أن ردت الستائر لتقيها حرارة شمس الصباح أوت إلى سريرها وغاصت في سبات عميق من النوم..

* * * *

لما أفاقت مرغريت من رقادها كانت الشمس بالغة كبد السماء فقفزت من سريرها وقد لاقت فيه راحة وعزاء وسلوى.

ثم قدم إليها طعام الصباح فاكلت هنيئا وقد سألت عن أخبار زوجها فأُجيبت أن الخادم الذي صحبته في رحلته قد رجع تاركا سيده في لوندره ليركب منها البحر إلى دوفر.

فدهشت مرغريت من هذا الخبر ولم تدر ما غاية زوجها من الذهاب إلى دوفر وما علاقة هذه المدينة مع أشغاله من جهة وإنقاذ أخيها من الخطر الذي يتهدده من جهة أخرى... فكرت كثيرا وعبثا حاولت كشف هذا المعمى وأخيرا تعبت وتركت الغرفة التي هي فيها

ووجهتها الجنينة لعلها تجد بين زهورها ما يفرج كربتها ويزيح عنها الهموم.

وقبل أن تصل إلى الباب ألفت نظرها الرواق المؤدي إلى جهة القصر المختصة بزوجها وبين غرفها عدا غرف النوم غرفة سرية اختصها السر برسي لأشغاله وبابها مقفلٌ أبدا ومفتاحه ملازم جيبه إذا كان في القصر وإلا فيسلمه مدة تغيّبه إلى وصيف له ائتمنه على سره ليعنى كل العناية بترتيب داخل الغرفة دون أن يترك مجالا لحد لدخولها.

دفع مرغريت الفضول إلى معرفة ما في هذه الغرفة التي لم تتعد عتبتها بعد، فاتجهت نحوها بخفة حابسة أنفاسها كي لا يشعر أحد بوجودها، وما صارت على مقربة منها حتى رأت بابها مفتوحا ولا أحد فيها فدخلتها وإذا بها ترى البساطة مجسمة ولا من أثاث إلا بساط كبير يفرش الأرض ومنضدة أمام النافذة وعليها الأوراق الكثيرة..

سرّحت نظرها فيما حولها لعلها تجد ما يوقفها على سبب سفر زوجها الفجائي فلم تفلح وأخيرا عزمت على الرجوع من حيث أتت وما خطت خطوة واحدة حتى شعرت بشيء صدم رجلها فانحنت والتقطت ما اعترضها في مشيتها وإذا به خاتم من الذهب وعلى فصه رسم زهرة عرفتها للحال.. إنها شبيهة يتلك التي رأتها الليلة الماضية في ملعب الأوبرا وبيت اللورد كرونفيل...

عظمت دهشتها عند هذا الاكتشاف فضمت الخاتم إلى صدرها وهرولت مسرعة إلى الحديقة، وهناك لما استقر بها المقام تحت ظل الأشجار الوارف أخذت تقلب هذا الأثر بين يديها وهي دهشة حائرة..

ولم هـذه الدهشـة مـن رؤيـة الزهـرة الحمـراء عـلى خاتـم زوجهـا وجميـع الإنكليـز أضحـوا يفاخـرون بهـا شـعارا يزيّنـون بـه صـدور بيوتهـم حتـى والنسـاء أخـذن تزيّـنّ ثيابهـن بهـذه العلامـة العجيبـة إكراما لحامـل اسـمها والمتخفـي تحـت وريقاتهـا لإتمـام أعمالـه العظيمـة. فـلا بـدع إذا كان زوجهـا مـن الذيـن أُغرمـوا بهـا أيضـا فجعلهـا عـلى خاتمـه..

تلاعبـت الشـكوك في صـدر مرغريـت وأرادت الرجـوع بأفكارهـا إلى يـوم أمـس والمقابلـة بـين وعـد زوجهـا لهـا بإنقـاذ أخيهـا أرمـان وسـفره السريـع إلى لونـدره فدوفـر وهـذا الخاتـم الـذي رمتـه الصـدف أمـام عينيهـا، ولكنهـا كانـت تتخبـط في ديـاجٍ مـن الظلـمات وعبثـا حاولـت الوصـول إلى حـلّ مـرضيّ..

إن هـي لكذلـك وإذا بخـادم تقـدم منهـا وقـدم إليهـا غلافـا مختومـا ففضتـه وإذا فـه ذلـك الكتـاب المرسـل مـن أخيهـا أرمـان إلى السـر أنـدري وقـد رأتـه يـوم أمـس بـين أيـدي شـوفلان الـذي هدّدهـا بـه واتخـذه لـه سـلاحا قويـا ضدهـا واعـدا إياهـا بـأن يرجعـه إليهـا إذا سـاعدته عـلى معرفـة حقيقـة زعيـم عصابـة الزهـرة الحمـراء أو وقـف هـو عـلى آثـاره..

إذا لقـد فـاز عدوهـا بمبتغـاه وتمكـن مـن معرفـة أخبـار ذلـك البطـل معبـود الإنكليـز وهـو الآن مقتـفٍ ولا بـد خطواتـه وإلا لمـا كان أرسـل سـلاحه ضدهـا إليهـا.. ولكـن كيـف كان ذلـك؟؟

دهمـت مرغريـت جيـوش مـن الأفـكار وتزايـدت شـكوكها في أمـر زوجهـا خصوصـا لمـا ذكـرت أن شـوفلان عندمـا انتظـر مجـيء الزهـرة الحمـراء في قاعـة الأكل في بيـت اللـورد كرونفيـل لم يجـد إلا زوجهـا نائمـا...

استدعت حامل الكتاب وسألته عمن أعطاه إياه فأخبرها أن رجلا في لوندره كان على وشك الذهاب إلى دوفر هو الذي كلفه أن يأتي به إلى القصر..

وكأن الستار الكثيف الذي كان مسدولا أمام مرغريت ومعميا منها البصيرة والبصر قد أريح فجأة عن عرينها قرأت النور وفهمت الحقيقة التي طالما سعت وراء معرفتها.

عرفت ويا لله مما عرفت .. عرفت أن زوجها الذي طال هزأت به هو هو ذلك الذي البطل العظيم مخلص أشراف الفرنساويين من الظلم اللاحق بهم.. هو هو الزهرة الحمراء بعينه العام دون ملل على تخفيف نكبات المظلومين وتفريج كربات المضطهدين.. أجل عرفت الآن من هو زوجها وأي العواطف الشريفة يضم بين جنبيه.. عرفته فتخيلته أمامها وهو ذلك البطل المقدام مطاردا من أعدائه الضامرين له البغض القتال وهم على وشك الوصول إليه ليصبوا عليه انتقامهم وينشبوا فيه مخالبهم الشريرة فصرخت وقد ذكرت أنها هي كانت السبب في ذلك هبت من مكانها مذعورة وأسرعت إلى القصر وعزمت على ألا تقعد بعد الآن عن التكفير عما بدر منها بالسعي وراء إنقاذه من المأزق الحرج الذي أوقعته فيه أو على الأقل بإخباره أن خطرا عظيما يتهدده لو تعدى بحر المانش وأن الموت ينتظره في فرنسا وقد فضح سره.

فأمرت الخدم بإعداد المركبة وشد عليها أجود الجياد وأسرعها جريا، ففعلوا وركبتها وذهبت بها تسابق الرياح ووجهتها لوندره وخطتها

التفتيش عن أفراد عصابة الزهرة الحمراء لعلها تجد منهم من يساعدها في مهمتها.

وصلت إلى لوندره وقصدت رأسها بيت السر أندري فوجدته فيه وأخبرته بالأمر. اصفر الرجل لهذا الخبر المفاجئ ولكنه لم يلبث أن تمالك وأظهر عدم الاهتمام به وشكه في صدقه. كيف لا وقد أقسم هو وجميع رفاقه يمين الإخلاص والأمانة على كتمان السر؟ ومن يضمن له صدق ما يسرد على مسمعه وأنه ليس شركا يُنصب لتؤخذ العصابة بحبائله؟؟...

فأخذتن مرغريت تشرح له الأمر مفصلا مخبرة إياه كيف أن زعيمهم قرينها مهدد بخطر عظيم هي كانت سببه، وأن لا خلاص منه إلا إذا أسرعوا بالعمل. وبعد إيضاحات وتأكيدات تبيّن منها الصدق والإخلاص قال لها:

- مري يا سيدتي فأنا أطوع لك من بنانك وترينني مستعدا لسفك آخر نقطة من دمي في سبيل إنقاذ قرينك.

فقالت له:

- ما لنا إلا الإسراع إلى دوفر لعلنا نتمكن من الاجتماع به قبل أن يبحر إلى فرنسا وإلا فنسعى وراءه حتى نجده قبل أن يلحق شوفلان وأعوانه به سوءا.. فها أنا أسبقك على عربتي فأسرع أنت وامتط أجود خيلك واتبعني فموعدنا فندق الصيادين.

قالت هذا وركبت عربتها فاعمل السائق السوط في ظهور الجياد وذهبت تسابق الرياح ووجهتها دوفر...

* * * *

وصلت مرغريت إلى دوفر بعد أن قطعت المسافة الفارقة بينها وبين لوندره بثماني ساعات وكان الظلام مخيما والسكون سائدا وأصحاب فندق الصيادين نياما، ولكنهم ما أشعروا بقدوم زائرين حتى هبّ جيلبانـد صاحب الفندق مرحبا بالضيوف، وما كان أشد دهشته عندما عرف أن ضيفه الطارق باب فندقه في هذه الساعة المتأخرة من الليل هي اللادي مرغريت.

فرحب بها أيما ترحيب وأسرع بإنارة قاعة الاستقبال وتقديم مقعد إليها فجلست ثم سألها عما إذا كانت عازمة على تمضية الليلة في فندقه حتى يهيئ لها الغرفة اللائقة بمقامها.. فأخبرته مرغريت أنها تكتفي بالقاعة التي هي فيها الآن إذ أن في عزمها أن تركب البحر مع أول باخرة تقلع من دوفر وهي الآن بانتظار السر أندري ولا بد أنه قادم قريبا. ثم سألته أن يتركها إلى نفسها ففعل وذهب إلى الباب الخارجي ووقف ينتظر القادم المنتظر.

أما مرغريت فإنها بقيت في مكانها تتقلب على جمر الغضا منتظرة وما أصعب الانتظار في مثل هذا الحالة.. فكرت في زوجها وفيما هو فاعل الآن يا ترىفي فرنسا وماذا يكون منه لو عرف أن أسراره التي طالما حرص عليها مع أفراد عصابته كل الحرص قد فُضحت. وهل يعرف ذلك يا ترى قبل أن يتمكن الأعداء من إلقاء القبض عليه؟ أم

لا يـرى ذاتـه إلا وهـو تحـت المقصلـة لينفـذ حكـم الإعـدام فيـه فيمـوت شـهيدا بعيـدا عـن بـلاده وأحبائـه؟ ...

مـرت في رأسـها هـذه الأفـكار مـرور الـبرق فدمعـت لهـا عينهـا دموعـاص لـو نزلـت عـلى العشـب لحرقتـه.. ثـم انتقلـت بفكرهـا إلى شـوفلان عدوهـا اللـدود ومـكان وجـوده في هـذه السـاعة، وقـد سـألت عنـه في طريقهـا مـرارا متعـددة فلـم تقـف لـه عـلى خـبر فهـو ولا بـد قـد سـبقها بمراحـل ووصـل إلى دوفـر قبلهـا بسـاعات، فهـل يكـون يـا تـرى باقيـا فيهـا أم أسـعده الحـظ فـترك دوفـر قاصـدا فرنسـا ليلحـق بطريدتـه ويشـفي غليلـه مـن الزهـرة الحمـراء وقـد عرفـه ووقـف عـلى جميـع حيلـه؟

رددت مـرارا هـذا الموضـوع في رأسـها وتسـاءلت عـما يكـون الجـواب، ولكـن أنى لهـا معرفـة الحقيقـة...

وإنهـا لكذلـك وقـد كادت تسـأم طـول الانتظـار وإذا بوقـع حوافـر جيـاد عـلى بـلاط الشـارع أرعـى سـمعها فهبـت ومـلء قلبهـا الأمـل لـترى مـن يكـون القـادم وإذ بالبـاب فتـح ودخـل رجـل بـزي الخـدم دخـل عليهـا وحالمـا وقـع نظرهـا عليـه عرفتـه، إنـه هـو الـسر أنـدري فلـم تعجـب لهـذه الهيئـة وقـد استحسـنت عملـه كي لا يفضـح سره ثـم بادرتـه بالسـؤال مسـتفهمة عـما تمكـن مـن معرفتـه جديـدا فأخبرهـا أنـه يسـتحيل عـبر البحـر في هـذه الليلـة نظـرا لهياجـه عـلى أثـر عاصفـة شـديدة هبـت..

كان هـذا الخـبر عـلى مرغريـت أشـد وقعـا مـن الصاعقـة لـو نزلـت عـلى رأسـها.. كيـف لا وهـي تأمـل الوصـول إلى زوجهـا قبـل أن يلحـق بـه الأعـداء

ضررا فتحميه من شرهم وتفديه بنفسها لو دعت الحاجة إلى ذلك أو تموت معه.

ولكن الطبيعة تعاكسها ويكاد الرجاء منها يبدل قنوطا، فصرخت والقلب مدمي:

- إن الساعات معدودة يا أندري وكل تأخير منا يزيد في موقف قريني حراجة. فالذهاب الذهاب ولا بد من السرعة قبل أن يفوت الوقت.

فأجابها السر أندري مهدئا روعها ومسكنا ما بها:

- لقد قصدت الشاطئ حال وصولي إلى دوفر أيتها السيدة ولم أترك عليه نوتيا إلا وسألته أن يقلنا على ظهر سفينته إلى البر الثاني لقاء مبلغ من المال تركت له الخيار في تحديد قيمته فتمنعوا جميعا خوفا على نفوسهم ومراكبهم، وقد شددت عليهم أن يصدقوني الخبر إذا كان جاء قبلي من تمكّن من عبر البحر قاصدا فرنسا فكان جوابهم سلبا ونفيا فجئت إليك بعد أن يئست منهم حاملا الخبر اليقين ومؤكدا أن شوفلان لا يزال في هذه الديار وقد أخرته الزوبعة كما أخرتنا عن إكمال طريقنا.

نزلت هذه الجملة الأخيرة على قلب مرغريت بلسما شافيا وقد هدأ بالها لما علمت أن عدو زوجها اللدود لا يزال بعيدا عن فرنسا وأنه لن يطأ أرضها قبلها.. ثم طلبت إلى جيلباند طعاما فأكلت مع السر أندري الذي بذل جهده بتسلية خاطرها بإخبارها عن زوجها وأعماله العظيمة التي ذهش لها العالم وعن جرأته النادرة بتخليص المضطهدين. أخبرها كيف أن السر برسي وهو متخف تحت لباس عجوز شمطاء، أو شيخ

عجـوز، أو امـرأة قرويـة، أو متسـول فقـير كان يدخـل البيـوت ويخـترق صفـوف الجنـود الرابضـة في شـوارع باريـس ويخلـص المحكـوم عليهـم حتـى ومـن تحـت آلـة الإعـدام هازئـا بأعدائـه ومنجيـا مـن المـوت مـن يطاردهـم رجـال الثـورة..

لاقـت مرغريـت بحديـث مخاطبهـا كل تعزيـة وسـلوى وكانـت مصغيـة إليـه كل الإصغـاء منتبهـة إلى مـا يُقـال عـلى مسـمعها كأني بهـا تلتهـم الـكلام التهامـا كي لا تفوتهـا كلمـة..

ثـم لمـا ثنـى النعـاس رأسـيهما قـام كل منهـما إلى الغرفـة المعـدة لـه ليأخـذ لنفسـه راحـة مـن عنـاء السـفر..

* * * *

كانـت تلـك الليلـة عـلى الـلادي مرغريـت أطـول مـن شـهر الصـوم، وقـد قضتهـا قلقـة هاجسـة تتقلـب عـلى فراشـها دون أن يأخذهـا نـوم أو يـذوق جفناهـا حـلاوة الكـرى حتـى انبلـج الفجـر فهبـت مـن سريرهـا ونزلـت إلى القاعـة لعلهـا تعـرف مـن أخبـار البحـر والزوبعـة شـيئا، ولكـن كان الجميـع نيامـا بعـد. فجلسـت عـلى مقعـد تفكـر فيـما يـأتي بـه اليـوم.

ومـا هـي إلا برهـة حتـى دخـل اللـورد أنـدري عليهـا بزيـه الغريـب وكان قـد قصـد باكـرا البحـر لـيرى إذا كان بالإمـكان الإبحـار إلى فرنسـا فعـرف أن ركـوب البحـر لا يـزال خطـرا وأن لا بـد مـن الانتظـار إلى لمسـاء.

تلقـت مرغريـت هـذا الخـبر فأطـار نفسـها شـعاعا وهـي التـي تمنـي النفـس لـو أن الطيـور تعيرهـا أجنحتهـا فتطـير إلى مـن أضحـى لا يغيـب

عـن مخيلتهـا فتململـت ولسـان حالهـا يتمثـل بقـول الشـاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه

لعـلي إلى من قد هويت أطير

ولكـن أنى لهـا مـا يحملهـا إلى زوجهـا بـل ومـا نفـع التململ والتضجّـر؟؟ فاضطـرت إلى الخلـود إلى السـكينة وظلـت نهارهـا تقلـب كفيهـا وتصفـق وهـي حاسـبة لتأخرهاعـن زوجهـا ألـف حسـاب ولا تـدري مـا تـؤول إليـه حالتـه في وسـط تلـك الأخطـار المحيقـة بـه.

أمـا اللـورد أنـدري فـكان إلى جانبهـا يخفـف مـا بهـا يسـكن روعهـا ويعدهـا بقـرب التلاقـي مؤكـدا لهـا أن زوجهـا لا يـزال حـرا بعيـداص عـن أن تمسّـه أيـدي الثائريـن بـأذى...

وعنـد المسـاء وقـد سـكنت العاصفـة وهـدأ ثـورة البحـر أسرع اللـورد أنـدري إلى الرصيـف واتفـق مـع أحـد النوتيـة أن يقلـه عـلى ظهـر أول سـفينة تقلـع مـن ميناء دوفـر، ثـم رجـع إلى الفنـدق وأخـبر مرغريـت بالأمـر فـكان لهـا هـذا الخـبر عيـدا عيـما وتوجّهـت لسـاعتها إلى الشـاطئ وللـورد أنـدري بهيئتـه المعروفـة يصحبهـا.

ومـا هـي إلا برهـة حتـى أقلعـت السـفينة تاركـة ميـاه دوفـر ووجهتهـا مدينـة كالي (الإفرنسـية) وكانـت تمخـر عبـاب المـاء منسـابة انسـياب الأفعـى ومرغريـت عـلى ظهرهـا فرحـة مـسرورة آملـة بقـرب الاجتـماع بزوجهـا ومحدقـة بنظهـا الحـاد إلى الأفـق أمامهـا وأفكارهـا تسـبق رحلتهـا مفتشـة عـن زوجهـا ومتتبعـة حركاتـه وأعمالـه في بـلاد ينتظـره فيهـا المـوت.

إن هـي لكذلـك وإذا بهـا تهللـت فرحـا وأشرق محياهـا فجـأة.. ذلـك أنهـا أبـصرت عـن بعـد نـورا يـضيء لهـا عرفـت أنـه هـو أملهـا وعنـده منتهـى رحلتهـا، وفي أرجـاء ذلـك الضيـاء لا تلبـث أن تجـد ضالتهـا المنشـودة...

رأت النور فأفرج كربها وزادها شـوقا إلى الوصول إليه.

تجلّـت أمامهـا أنـوار مصابيـح مدينـة كالي وكانـت تتـلألأ وراء البحـر في وسـط ذلـك الظـلام الحالـك..

وصلـت أخـيرا إلى الشـاطئ وكان الإرنسـيون (مواطنوهـا) هنـاك وعـلى رؤوسـهم القبعـات الحمـراء علامـة الصـورة يخطـرون ذهابـا وإيابـا ويرقبـون كل قـادم وراحـل كي لا يتركـوا مجـالا لـلأشراف للهـرب مـما ينتظرهـم.

ولـولا علمهـم بـأن الآتـين إليهـم الآن مـا هـم إلا مـن جماعـة الإنكليـز الذيـن ألفـوا التجـارة فأتـوا لتعاطـي أشـغالها.

* * * *

تنـازل الفندقاني هذه المرة وأجاب قائلا:

- نعـم لقـد كان هنـا منـذ هنيهـة وتـرك الفنـدق بعـد أن أوصانـا بتهيئـة عشـاء لـه فهـو ولا بـد سـيرجع إلينـا قريبـا.

ولا تسـل عـن فـرح مرغريـت عنـد هـذا الـكلام وقـد ثبـت لهـا أن زوجهـا لا يـزال بعيـدا عـن اضطهـاد المضطهديـن، ثـم أردفـت:

- ألم يخـبرك عن مكان وجهته؟

- أجاب أنه ذاهب للتفتيش عن عربة لبعض أشـغال له.

قال هذا وترك الفندقاني الضيفين كأنه يرى نفسه أرفع من أن يدخل في حديث مع مثل هؤلاء الأشراف.

أما مارغريت فإنها كانت فرحة مسرورة لهذا الخبر الذي أزاح عنها الهموم وأخذ قلبها يخفق لقرب التلاقي.

أما أندري فكان قلقا والقلق باديا على وجهه. فلحظت منه مرغريت ذلك وسألته عن سبب انقباضه مع أن الأولى به أن يُسرّ لقرب اجتماعه بصديقه.

- ولكن أتظنين أن شوفلان يترك لنا هذا السرور وقد رأيته اليوم بأم عيني قبل تركنا دوفر وهو متخف تحت أردية الكهنة يساوم على ركوب سفينة إلى فرنسا؟ إنه ولا بد سيسعى وراء اللحاق بطريدته وسدّ عليه كل سبيل للنجاة وأخشى أن ينغّص علينا هناءنا.

فاضطربت مرغريت لهذه المفاجأة وعلا وجهها اصفرار ولا اصفرار الموت وأبدل سرورها بخوف ووجل خصوصا وقد عرفت أن عدو زوجها باذل وسعه للبطش به. كيف لا وقد أقسم أنه لا بد من إذاقة الزهرة الحمراء الموت الأغبر تحت سكين المقصلة تشفيا وانتقاما للثوريين منه؟؟ وهو الآن قد كشف سره وعرف دخيلة أمرهووقف على جميع خططه والأماكن التي يتردد إليها، كما أنه عرف أن في ذلك الفندق الحقير المدعو فندق القط الأسمر الكائن داخل زقاق معتم كان يجتمع فيه إلى رفاقه وذلك بفضل تلك الأوراق التي حصل عليها منذ بضعة أيام في فندق الصيادين في تلك الليلة التي كانت شؤما على اللورد أندري ورفيقه السر أنطوني..

عرفت ذلك مرغريت وتذكرت أخاها أرمان أيضا يسرح ويمرح في فرنسا آمنا مطمئنا خالي البال مما كان ضد العصابة التي ينتمي إليها فاسودت الدنيا في عينيها، ولما لم تجد تعزية لها أدعمت رأسها بيديها وأخذت تهطل دموعا حارة.

وكانت تلك الدموع دموع ندامة أكثر منها دموع خوف ووجل. أجل دموع ندامة على ما كان منها بحق زوجها وفقته وهي التي وشت به وساعدت الأعداء على كشف أسراره وأوقعته وأخاها في هذا المأزق الذي يصعب التخلّص منه..

وقد يمكن لزوجها الخلاص بنفسه والإفلات بدهائه من بين أيدي أعدائه وهو ولا بد عارف بالخطر وقد أوقفته على بعض منه، ولكن هل يفعل ذلك ويترك من إلى على نفسه ألا يقعد دون خلاصهم؟؟ هل يبعد عن فرنسا ويترك آرمان والكونت دي تورني وغيرهم ممن ينتظرونه بفارغ صبر لتخليصهم؟؟ هل يتركهم يقعون بين أيدي مضطهديهم ليلاقوا شر العذاب ويذهب هو بنفسه آمنا مطمئنا إلى إنكلترا؟؟

هل يرتكب هذه الفعلة وهو المعروف بجرأته وشهامته وشرفه وعالي همته.. لا شك أنه لن يقعد أبدا عن السعي وراء تخليص المضطهدين ولو رأى الخطر بأم عينيه... إنه سيبقى ولا بد في فرنسا ويبذل جهده ليخلص من ينتظرونه بفارغ صبر ويوصلهم إلى شاطئ السلام قبله فيرتاح عندئذٍ ضمير ويكون قام بواجب تقاضته إياه الإنسانية، وإذا

ما ألقي القبض عليه بعد ذلك فإنه يلقى العذاب الذي ينتظره بل الموت براحة واطمئنان.

فمرحى أيها البطل مرحى وحيا الله الشهامة وعزة النفس.

فكرت مرغريت طويلا بحالتها وبموقف زوجها الحرج وأمارات اليأس بادية على وجهها، وأخيرا كأن وحيا هبط عليها، التفتت إلى رفيقها بعد أن مسحت دموعها وظهر على وجهها شيء من الأمل وقالت:

- من الضروري ألا نقعد عن إخبار زوجي بالخطر حتى يعرف كيف يدرأه ويأخذ الاحتياطات اللازمة قبل فوات الوقت.. فما قولك بجولة في المدينة سعيا وراء إخباره بالأمر؟

- نعم الفكرة فكرتك يا سيدتي، ولكني أخشى أن نضيع وقتا نحن بحاجة قصوى إليه فيأتي هو إلى هذا المكان من شارع ونكون قد سلكنا نحن طريقا آخر للتفتيش عنه فيذهب تعبنا أدراج الرياح!

- تذهب أنت وحدك وأبقى أنا هنا منتظرة أرقب كل شارد وواراد لعل الله يُنجح أعمالنا ويهدينا سواء السبيل.

- وهل لا يسوؤك البقاء وحدك في هذا المكان المخيف؟

- أتحمل كل شيء في سبيل خلاص قريني. فاذهب أنت واسع وراء القيم بمهمتك وعين الرب ترعاك أما أنا فسأبقى هنا منتظرة إلى أن يمنّ الله علينا فالفرج فقط قبل أن تتركني اسأل الفندقاني إذا كان يمكنه أن يعطيني غرفة أجلس فيها إلى نفسي وأكون بعيدة عن أنظار الزائرين.. سله ذلك ولا تضن عليه بالأصفر الرنان ما يجبره على السكوت.

عمل السر أندري بإرادة اللادي مرغريت ونادى الفندقاني وسأله بعد أن نقده من المال مبلغا عن غرفة تصلح لن تأخذ السيدة فيها راحة لنفسها فأسرع هذا وأزاح ستارا ممزقا في صدر القاعة عن سلم من خشب يتداعى إلى السقوط تنتهي درجاته إلى قبو مملوء من التبن وقال لساله:

- عندي هذه الغرفة ولا أظن السيدة ألا تجد فيها ضالتها.

فنظر السر أندري إلى ما يُعرض عليه بامتعاض، ولكنه لم يفه ببنت شفة ثم رجع إلى اللادي مرغريت وقادها إلى القبو فقبلت هذه مرغمة وجلست على كومة من القش فيه وأزاحت الستار بعد أن حيت السر أندري وأوصته بسرعة الإياب لتطمينها عما يكون ووعدته من جهتها بأن تجعل الحكمة رائدها ولا تأتي بحركة مهما رأت أمامها ريثما يرجع إليها.

* * * *

خرج السر أندري لقضاء مهمته وبقيت مرغريت في مخبئها ترقب من خلال ثقوب الستار ما يجري في القاعة وكانت طربة فرحة لقرب ساعة اللقاء وتفكر فيما تفاتح به زوجها عند التلاقي...

إنها ولا بد سترمي بنفسها بين ذراعيه إظهاراص لحبها وتخبره متوسلة أن يعود عن عزمه ويرجع وإياها إلى بلادهما فيعيشا معا جنبا إلى جنب عيشة هنيئة راضية، عيشة حب متبادل بين القلوب لم تذق حلاوته من قبل..

ولكن ترى هل تتمكّن من ردعه عن عمله وهل تجد توسّلاتها له أذنا مصغية أم يتابع خطته إلى النهاية دون أن يهتم لها أو يأبه بكلامها؟.. وهل يُصدّق إخلاصها وحبها له فيقابلها بمثله أم تبقى الظنون والشكوك تتلاعب في صدره من جهتها ويبقى نافرا عنها؟؟.. ولم يكن أشد تأثيرا ووقعا على قلبها من هذا الفكر الأخير فتململت وأي تململ وفركت بأيديها قلقة مضطربة...

إن هي لكذلك وإذا بها تسمع حركة في الشارع خففق لها قلبها ظنا منها بأن القادم هو الحبيب المنتظر ولكنها ما لبثت أن سمعت نداء رجل يصرخ بصاحب الفندق فأسرع هذا وفتح الباب ودخل القاعة رجلان فقابلهما الفندقاني على عادته بالشتائم ولكنه صمت فجأة ووقف أمام الداخلين وقفة احترام، ذلك أن أحد القادمين تقدّم منه وكان متزيّيا بزي الكهنة وفتح رداءه الأسود عن ثوب تجلّله الشارة المثلثة الألوان..

أما مرغريت فإنها امتعضت لما تبيّن لها أن الآتين هم غير من تنتظر ولكنها لم تلبث أن اضطربت كأنها مست سلكا كهربائيا واصفر وجهها وكادت تهوي إلى الأرض لولا أنها تمالكت خوفا من أن تُسمع حركتها فيُكتشف سرها وتسوء الحالة.

اضطربت مرغريت ويا ما كان أشد اضطرابها ذلك أنها عرفت في ذلك المتخفي تحت ملابس رجال الله .. عرفت في ذلك المتلبس بلباس الحملان عدوها اللدود الذي يطارد زوجها... رأته أمامها بهذا الزي الغريب فطارت نفسها شعاعا ولكن ما العمل وهي الآن وحدها لا

حول لها ولا قوة حتى تقف أمامه وتحول بينه وبين طريدته حبيبها.. فأت الخلود إلى السكينة أولى لها وأوفق ففتحت عينيها وأصاخت بأذنيها كي لا تفوتها فائتة من أعمال وأقوال عدوها. فسمعته يطلب إلى الفندقاني بعد أن جلس على مقعد أن يأتيه بصحن من الحساء وقنينة من الخمر.. فأسرع صاحب الفندق بعمل ما يطلب منه وبإشارة من الكاهن غاب عن العيان.

ثم التفت شوفلان إلى الرجل الثاني الذي دخل معه وأشار إليه أن يقترب ففعل وقال له:

- والمركب الإنكليزي ماذا جرى له؟

- كان يمخر المياه أمامنا ووجهته دوفر ولكن ما خيم الظلام غاب عن أبصارنا ولم نعد نرى له أثرا.

- وهل عمل القائد هنا بأوامري؟

- نعم أيها المواطن، إنه نفذ ما طلبت منه تنفيذه بكل أمانة وإخلاص. ففرق الجنود في الشوارع والأزقة وبث العيون في منعطفات الطرق ومفارقها ولم يترك محلا إلا وأوقف فيه من يخدم قضيتنا.

- وهل يعرف موقع فندق بلانشار؟

- كلا وعبثا سأل، فلم يتمكن من الاهتداء عليه بين سلسلة الأكواخ الكثيرة المنتشرة على الشاطئ.

- حسن وما كان منه لهذه الليلة؟

- الجنـد سـاهرة في جميـع أطـراف المدينـة وخصوصـا في الشـوارع المؤديـة إلى هـذا الفنـدق.

- اذهــب إليــه الآن وقــل لــه أن يزيــد عــلى القــوات جنــودا وليكونــوا جميعهــم مفتحــي الأعــين والآذان لمــرأى أو ســماع كل إشــارة أو حركــة أمامهــم ولا يدعــو عابــر ســبيل ماشــيا كان أو خيــالا أو راكبــا عربــة غــلا ويوقفــوه ويأتــو بــه إليّ والويــل لهــم إذا أفلــت ذلــك الغريــب مــن بــين أيديهــم... لا يمكننــي أن أعــين ملابســه أو ســحنته فســيكون ولا بــد متنكــرا ولكــن عليهــم جميعهــم تقــع كل مســئولية ولــو مــر ولم يعترضــه أحــد. إنــه حــذق ماهــر في إخفــاء نفســه ولكننــا يجــب أن نكــون أكــثر حذاقــة منــه فــكل غريــب يخطــو خطــوة في أحــد الأزقــة المؤديــة إلى هــذا الفنــدق يجــب أن يراقــب ويرســل اثنــان في أثــره يتبعانــه إلى حيــث يســتقر بــه المقــام ثــم يأتيــان إليّ ليوقفــاني عــلى مــا كان دون أدنى تأخــر. أصريــح مــا قلتــه الآن وهــل فُهــم بتمامــه؟

- نعم أيها المواطن وسـأبلغ القائد أوامرك.

- اذهــب الآن وتعهّــد بنفســك حــركات الجنــد ثــم ارجــع إليــه بعــشرة أنفــار أشــداء منهــم ولا يكــن غيابــك أكــثر مــن عــشر دقائــق... ولكــن مهــلا فقــد ســهى عنــي أن أخــبرك أنــه مــن المحتمــل أن يدافــع الغريــب عــن نفســه. فــإذا فعــل ذلــك فاضطــروه إلى التســليم دون أن تصيبــوه بــأذى أبــدا فــإني أرغــب فيــه حيــا..

خــرج الرجــل مــن حــضرة آمــره وبقــي شــوفلان وحــده مــسرور الخاطــر بــاش الوجــه يفــرك بيديــه فرحــا آمنــا مطمئنــا آمــلا بقــرب إلقــاء القبــض عــلى مــن

طالما حاول معرفة اسمه. على الزهرة الحمراء ذلك الزعيم الذي ود رجال الثورة أن يفوزوا به لينكلوا به تنكيلا ويشفوا غليلهم منه.

أما مرغريت فإنها كانت منصتة وقد سمعت كل ما قيل وعرفت أن زوجها لا بد هالك وأن لا مفر له من بين أيدي أعدائه وقد سُدّت السبل في طريقه ولا واسطة للخلاص.. العيون مبثوثة في الشوارع والجنود راصدة في الأزقة وحياة الزهرة الحمراء أضحت بخطر لا أمل بالخلاص منه إلا بمعجزة من عل.. وهي هي امرأته الآتية وراء البحر ما يكون منها...

وبينما كانت مرغريت تفكر بذلك وعيناها والدموع تسح منهما تحدقان بعدوها الذي كان مقبلا على الأكل من صحنه بكل سرور، وإذا بغناء في الشونارع استرعى سمعها فاضطربت في داخلها وعرفت أن الساعة الهائلة قد دنت، عرفت أن المغني هو زوجها فأرادت الإسراع إليه لتوقفه على ما ينتظره ولكن هل يتسنّى لها ذلك وشوفلان في طريقها يوقفها ولا يتركها تكمل عملها.. فاضطرت إلى الانتظار وهي تتحرّق كأن نيرانا تضطرم في أحشائها...

أما الصوت فكان يقترب إلى الفندق وقد سمعه شوفلان وعرف صاحبه فأبرقت أسارير وجهه وقدحت عيناه شرر الانتقام ثم أسرع إلى وضع قبعته عل رأسه أخفته لسحنته.

وما هي إلا هنيهة حتى فتح الباب ودخل المغني وكان بالحقيقة السر برسي بلانكاي بطل هذه الرواية والمتخفي تح اسم الزهرة الحمراء.. وما خطا خطوة حتى لحظ الكاهن المكب على صحنه فعرف في

شـخصه للحـال عـدوه وتقـدم منـه ضرب عـلى كتفـه وقـال:

- أسـعد اللـه مسـاءك يـا شـوفلان وتـراني دهشـا لوجـودك في دوفـر وعهـدي بـك في بـلاد الإنكليـز.

أمـا شـوفلان فبغـت لهـذه المفاتحـة التـي لم يكـن ينتظرهـا فاصفـر وكان اصفـراره دليـلا عـلى عـدم إعـداده لهـذه المفاجـأة عدتـه. وكل مـا كان منـه أن وقـف الحسـاء في حلقـه وأخـذ يسـعل سـعالا شـديدا.

فقهقه برسي لحالة شـوفلان المضحكة وأردف قائلا:

- إني آسـف جـدا لإزعاجـي إيـاك يـا مسـتر شـوفلان ولم يكـن ليخطـر في بـالي أنـك تؤخـذ هكـذا لمجـرد مـرآي.

قـال هـذا وجلـس عـلى الطاولـة وأخـذ صحنـا مـن الحسـاء كان قـد أعـده الفندقـاني لـه قبـل مجيئـه وابتـدأ بـالأكل.

ولمـا انتهـى شـوفلان مـن سـعاله تقـدم مـن بـرسي ومـد لـه يـده وقـال ورنّـات صوتـه تنـم عـما هـو عليـه مـن المداهنـة والخـداع:

- إني مـسرورٌ جـدا للقائـك يـا سر بـرسي ومـا أصابنـي لم ينشـأ إلى عـن شـدة دهشـتي لمـرآك أنـت أيضـا في هـذه الديـار مـع علمـي أنـك في بـلادك العزيـزة.

- لقـد تركتهـا لأشـغال لي في هـذه الديـار وتـراني لا ألبـث أن أذهـب إلى ليـل لقضـاء مهمتـي.. ولكـن مـالي أراك مرتديـا بأرديـة الكهنـة؟ فهـل حـذوت حذوهـم وصرت واحـدا منهـم؟

- كلا إنما الظروف اضطرتني اليوم لهذا اللباس.

- أنت ترغب ولا بد في التخفّي عن أنظار بعض من لا تحب أن يعرفوك.. أنت وأيم الحق لمتقن شروط التنكر فأهنئك بالرغم عن أنك لم تخف عليّ بقيافتك الجديدة..

كان العدوّان في مثل هذه الأحاديث وكانت مرغريت في مخبئها تُحرق وتتململ لبقاء زوجها وسكوته عن عدوه والساعات معدودة وشوفلان ينتظر بفارغ صبر رجوع رسوله ومع أنفار الجند لينقض عليه.. وقد خطر لها مرارا أن تقوم إليه وتخبره بما ينتظره وتعمل معه على الهرب من الشرك المنصوب له، ولكن خشيت أن يلفت عملها الأنظار فيؤدي إلى ما لا تُحمد عقباه.

فاضطرت إلى الانتظار وعيناها ترقان وتقدحان شرر الملل والسأم..

أما شوفلان فكان ينظر من وقت إلى آخر إلى ساعته ممنيا النفس لو تنتهي العشر دقائق الباقية قبل ميعادها، وقد لاحظ السر برسي منه ذلك وابتسم ابتسامة هزء وسخرية ثم بأسرع من ارتداد البصر أخذ وعاء الفلفل من على الطاولة أمامه وأفرغ ما فيه بعلبة عاطوس أخرجها من جيبه وقدمها إلى شوفلان فأخذ هذا منها بين أصبعيه آمنا ولم يكن قد لحظ من عدوه عمله ونشق ولكن لم يصل الفلفل إلى رأسه حتى احمرت عيناه وأخذ يعطس بشدة ويشهق كأني به يعدد أنفاسه الأخيرة.

أما برسي فترك عدوه بهذه الحالة وخرج من الفندق آمنا.

ولا تسل عن سرور مرغريت لهذا الدور الذي مثله أمامها زوجها، ولكن لم تلبث أن اكفهر وجهها وبدا الحزن في ملامحها خصوصا وقد ذكرت أن لا مخرج لزوجها من بين الجنود المحيطين بهاتيك الديا وكلهم يرصدون منتظرين أقل إشارة حتى ينقضوا عليه انقضاض الصياد على طريدته فأخذت تلوم نفسها وتخطئها لعدم نزولها إليه وإيقافه على خطة عدوه..

أما شوفلان فكانت حالته مضحكة. فإن الفلفل قد أنهكه وأتعبه وأسال من عينيه الدموع الغزيرة..

وما هي إلا برهة حتى سمع وقع أقدام جند آتية إلى الفندق فأجهد نفسه بالسكون وتمكّن بعد العناء من الهدوء والتمالك، ولما دخل القائد المنتظر ابتدره سائلا:

- والغريب ألم تروه؟؟.. أجب ماذا عملتم به؟

فأجاب القائد دهشا:

- ولكن أين؟؟

- إنه خرج منذ برهة من هذا المكان!

- لم نر له أثرا في وسط الظلام المدلهم.

- كيف لم تروه وقد مرّ بالشارع الذي أنتم آتون منه؟!

كان شوفلان يتكلم والحدة ظاهرة في نبرات صوته فأردف:

- لقد كان هنا منذ خمس دقائق جالسا على هذا المقعد أمامي... لم أشأ أن أعترضه خوفا من إخفاق المسعى وهو أكبر مني جثة وأشد بأسا خصوصا وكنت مؤكدا من حسن النتيجة بقدومكم. ولكن خيرا ما كان. فإن أفلت مني هذه المرة فلن يفلت مرة أخرى واقوات رابضة في جميع أنحاء المدينة ولا سبيل لأي كان بالمرور أو النزول إلى شاطئ البحر. فالعيون مفتحة.. ولكن هل تعرف الرجال واجباتهم؟

- نعم..

- والآن حتى لا يكون منا ما يخفي آثاره ويضيعنا سواء السبيل.. بلغ الجند ألا يعترضوا أحدا في الطريق وليتركوا الغريب يصل إلى كوخ بلانشار وهو المكان الذي يجتمع فيه إلى رفاقه.

- لقد عرفوا كل ذلك أيها المواطن والنصر مؤكد هذه المرة لنا.. فقط أود إبلاغك شيئا جديدا..

- وما هو؟؟

- أن إنكليزيا كان يحادث يهوديا ساكنا في هذا الجوار من مدة قصيرة. وكان الحديث عن عربة يود الغريب استئجارها للساعة الحادية عشرة.

- حسن وما كان بعد ذلك؟

- لا أدري..

- أرسل حالا من يأتي لنا باليهودي لنرى ما كان منه مع الغريب.

خرج القائد ثم رجع ووراءه رجل محدودب الظهر طويل شعر اللحية مرتديا بملابس قذرة ممزقة وكان يمشي متثاقلا وعلامات الذل والانكسار

تبدو في وجهه. فأراد التقدّم من شوفلان ولثم أنامله ولكن بإشارة من هذا الأخير وقف وهو يتمتم كلمات التحية والاحترام.

فسأل شوفلان القائد إذا كان هذا هو اليهودي المطلوب فأجاب:

- كلا أيها المواطن. فذاك قد اختفى أما هذا فإنه أظهر لنا رغبة في الإخبار عن حقيقة ما كان.

فالتفت شوفلان إلى اليهودي وقال:

- يخبرني القائد أنك عارف بأخبار إنكليزي كان منذ برهة في هذه لديار.

- نعم يا مولاي، فقد حادثني وطلب مني أو أوصله إلى مكان وجهته بعربتي.

- وماذا كان جوابك له؟

- كنت أرغب في أن أغتنمها فرصة كي أنال منها أرباحا طائلة، ولكن ذلك اللعين جاري قد ركض إليه وأرغبه في عربة عنده واتفق معه وذهبا بينما كنت واقفا أنا أحرق الأرم ولا حول لي عليه. مع أن جواد عربتي أسرع جريا من جواده.

- فإذا أقلته عربة جارك إلى مكان وجهته؟

- نعم يا مولاي، وذلك منذ خمس دقائق فقط، ولكن أؤكد لكم أنه لم يحسن عمله بانتقائه تلك العربة.

- عندك إذا عربة أنت أيضا؟

- نعم يا مولاي وتراني مستعدا لخدمتك.

- هل تعرف الطريق التي سلكها الغريب؟

فظهرت عند هذا السؤال على ملامح اليهودي علامات التردد، وبعد سكوت بضع ثوانٍ أخذ من جيبه قطعا من النقود وقال:

- هذا هو الثمن الذي دفعه لي الغريب حتى أحفظ السر وأسكت عن ذكر مكان وجهته.

- لك ضعفه إن أفشيت السر الذي اؤتمنت عليه ومثل ضعفه إذا قدتنا إلى المكان الذي ذهبا إليه.

فأبرقت أسارير اليهودي وقبل الارض أمام شوفلان وقال:

- مُر يا مولاي وتراني رهين كلمة تخرج من فيك.. أما الغريب فقد سلك طريقا أعرفها جيدا ووجهته كوخ بلانشار.

- اذهب إذا وأعد العربة، فقد عزمت على الذهاب فيها. ولكن اعلم أنك ستلاقي بدل الدراهم موتا أحمر إذا ظهر لي أنك تخدعني.

فأقسم اليهودي بالأنبياء أنه لا يرغب إلا في رضى مولاه ثم خرج ليهيئ المركبة.

أما شوفلان فخلع عنه الملابس السوداء وارتدى بملابسه العادية وقال للقائد:

- خذ اثني عشر رجلا وكن للعربة أتبع من ظلها ويقيني أن الفوز مؤكد وأن الزهرة الحمراء لن يفلت من أيدينا هذه المرة. بل سيسهّل

لنا هو إلقاء القبض على عصابته.. ولكن اعلم أني لا أريد أن يُجرح مطلقا، بل أرغب في أخذ عدونا الكبير مع رفاقه أحياء.

قال هذا وخرج من الفندق وركب العربة المعدة وسار الجميع ووجهتهم كوخ بلانشار وأمل الفوز يملأ قلوبهم..

* * * *

سمعت مرغريت ووعت كل ما قيل على مقربة منها ورأت عدوها يبتعد وبوارق الأمل والانتصار تلمع في عينيه.. ثم ساد السكوت في الفندق ولم يعد من حركة فيه فهبت من مكانها وفي رأسها خطة أرادت تتبعها ونزلت من مخبئها وهرولت إلى الشارع وأسرعت وراء العربة التي تقل عدوها واقتفت آثارها دون أن تجعل لأحد شكا في أمرها خصوصا والظلام الحالك كان خير مساعد لها...

مشت مرغريت في شوارع كالي المظلمة ورائدها الحرص والانتباه خوفا من أن تؤخذ بعملها فيخفق مسعاها ولم يكن ليساورها خوف وفكرة تخليص زوجها كانت خير مشجعة لها في تقدمها.. جعلت نصب عينيها أمر إخبار زوجها بما يحدق به من الأخطار فأما أن تصل غلى غايتها فتخلص وإياه أو تموت معه جنبا إلى جنب فلعل بذلك تكفر عن سابق أعمالها.

لم تكد العربة تبعد قليلا عن بيوت كالي حتى سُمع عن بعد وقع حوافر جياد فاضطرت مرغريت إلى الوقوف متسترة بعد أن وقفت العربة أمامها وما هي إلا برهة حتى أقبل جنديان فسألهما شوفلان عن أخبار الضالة التي ينشدونها فأجاب واحد منهما قائلا:

- لم نجد له أثرا أيها المواطن، إنما قد عثرنا على بعد ميلين من هذه الديار على كوخ من خشب أشبه الأشياء بأكواخ الصيادين فربطنا خيولنا جانبا وقصدناه متسترين بالظلام وكان المكان اليا والنيران الموقدة في وسط المكان تنبئ بقرب مجيء أحد إليه، فربضنا منتظرين وإذا شاب وإلى جانبه شيخ قد دخلا الكوخ وما استقر بهما المكان حتى قال الشيخ:»وهل أنت متأكد من أن الكوخ هذا هو المكان المعين وأن هذه هي الساعة المضروبة لخلاصنا؟».. فأجاب الشاب «نعم، وقد تتبعنا جيدا الخطة التي اختطها لنا الرئيس».. عند سماعنا هذا الكلام تأكدنا أن الرجلين ينتظران رجالا آخرين. فأبقينا منا أربعة جنود يرصدون وأسرعنا نحن إليكم أيها المواطن كي نخبركم بالأمر ونرى رأيكم فيه.

فقال شوفلان:

- والرجل الذي نسعى وراءه.. ألم تقفوا له على أثر؟

- كلا ايها المواطن.

- فإذا صادفه الآخرون الرابضون حول الكوخ ماذا يعملون؟

- يقتفون أثره إلى أن يصل إلى مكان وجهته ثم ينقضون عليه. أما إذا كان في نيته التوجّه إلى الشاطئ لركوب البحر فإنهم يعملون عندئذٍ على الإحاطة به سادين في وجهه كل طريق ثم يخبرونا بطلق ناري حتى نسرع إلى مساعدتهم.

- إياكم جرحه فإني أريده حيا.

- هـي الأوامر المعطـاة لنا وترانا غير حائدين عنها.

- حسـنا. فليذهـب واحـد منكـما ولبيـق الثـاني مرافقـا لنـا وليجلـس إلى جانـب الحـوذي اليهـودي ليهديـه إلى الطريـق المسـتقيم فقـط لنقـف عـلى بعـد مـن الكـوخ المعهـود حتـى لا يكشـف عملنـا فيخفـق مسـعانا.

وتابعـت العربـة سـيرها وقـد سـمعت مرغريـت مـا دار مـن الحديـث. فخفـق قلبهـا ذعـرا لقـرب السـاعة الهائلـة. وقـد عرفـت أن الرجلـين اللـذان في الكـوخ مـا هـما إلا أخوهـا والكونـت دي تـورني ينتظـران الزهـرة الحمـراء ليذهبـا معـه إلى البـلاد الإنكليزيـة ويبتعـدا عـن ديـار أضحـت بـؤرة عـذاب وشـقاء وثـورات..

واصلـت مرغريـت سـيرها وأمـل الوصـول إلى أحبائهـا يشـدد قواهـا ويشـجعها عـلى احتـمال مشـقات تلـك السـفرة المهلكـة، وكانـت في تقدّمهـا محاذيـة للعربـة لا يسـترها عـن أعـين راكبيهـا إلا سـياج مـن عوسـج موجـود عـلى طـول الطريـق...

ومـا هـي إلى بضـع دقائـق حتـى وقـف الجميـع أمـام مرتفـع مـن الأرض ناتئـة فيـه الصخـور الكبـيرة فأسرعـت هـي، ولكـن بـكل انتبـاه إلى التقـدّم بقـدر اسـتطاعتها مـن العربـة لـكي لا تفوتهـا فائتـة مـن الأوامـر التـي يلقيهـا عدوهـا عـلى رجالـه فسـمعته يقـول بعـد أن نـزل مـن مكانـه بصـوت خافـت لا يـكاد يُسـمع:

- أمـا وقـد صرنـا عـلى بعـد بضعـة أميـال مـن المـكان المقصـود فلنفتـح أعيننـا ونجعـل الحـرص رائدنـا كي لا تبـدر منـا بـادرة تخفـق مسـعانا... اسـمعوا وعـوا مـا أقولـه الآن وهـي آخـر كلـمات أتمكـن مـن إيصالهـا إليكـم

قبـل الانتصـار عـلى عدونـا إذ لا مجـال بعـد الآن للتوصيـة...

يخـفّ جنـدي منكـم إلى الكـوخ ويتطلـع إلى داخلـه، فـإن كان العـدو المنشـود فيـه مـع رفاقـه يشـير بصفـير إلى رفاقـه لينضمـوا إليـه وينقضـوا عليـه وعـلى مـن في الكـوخ ويُلقـوا القبـض عليهـم. ولكـن حـذار حـذار مـن قتـل أحـد منهـم فـإني أريدهـم كلهـم أحيـاء. فـإن هـم سـلّوا السـيوف قصـد المدافعـة عـن أنفسـهم أطلقـوا النـار بـين أرجلهـم تهويـلا ولا حاجـة إلى إعـادة التوصيـة بـأني أرغـب في الجميـع أحيـاء... أمـا إذا كان الإنكليـزي متخلفـا بعـد عـن الحضـور، فليربـض الجميـع وينتظـروا إلى أن يـأتي فيعملـوا عنـديٍ بأوامـري. هـل سـمعتم؟

- نعم أيها المواطن.

- أكـرر التوصيـة بعـدم الإتيـان بحركـة تنبـه الخواطـر لئـلا يسـقط بأيدينـا ونفشـل بمسـعانا.

فذهب الجنـود للعمل بالأوامر المعطاة لهم.

ثم التفت شـوفلان إلى اليهودي وقال:

- أمـا أنـت فابـق عنـد عربتـك وانتظـر إلى أن تبلغـك أوامـري والويـل لـك إذا بـدرت منـك بـادرة تجلـب الشـكوك.

- ولكن يا مولاي..

- لا سـبيل إلى المراجعة فهذه أوامري وعليك الرضوخ لها.

- إني اطـول لـك مـن بنانـك يـا مـولاي. غنـما إذا لا سـمح اللـه نـزل عـلى هـذا المـكان لصـوص وأرادوا الإيقـاع بي أوَتظنني جريئـا بهـذا المقـدار حتـى

أقف أمامهم وأصدهم عن عملهم؟؟ كلا يا مولاي غن ابن أبي لأعجز من أن يقف هذه الوقفات ولن أتمالك عندئذٍ عن الصراخ والاستغاثة حتى تأتوا إليّ وتنقذوني من الخطر الداهم...

كان اليهودي يتكلم مضطربا وعلامات الانكسار والفشل بادية على وجهه وما أتى على آخر كلامه حتى سحت من عينيه دموع الخوف والجزع..

فابتسم شوفلان هازئا وهدأ روعه وقال:

- لا بأس أن تلحق بنا حيث نذهب وتبقى لعربة وحدها. ثم أشار إلى القائد فكمّ فيه ومشى الجميع متسلقين تلك الأكدة.

أما مرغريت وقد عرفت الآن خطة عدوها فإنها عزمت على الوصول إلى الكوخ قبل شوفلان ورجاله لإعلام المطاردين بما ينتظرهم لعلهم يتمكنون من الإفلات قبل فوات الوقت، فأسرعت الخطى وتقدّمت في وسط ذلك الظلام. ولكنها لم تلبث أن عثرت قدمها بحجر فسقطت إلى الأرض ثم سمعت وقع أقدام مسرعة وراءها وما هي إلا أقل من طرفة عين حتى شعرت بأيدٍ من حديد أمسكتها وكمامة وضعت في فمها. فأخذت بهذه المفاجأة أيما مأخذ وقد أنهكها التعب فأغمي عليها...

مسكينة أنتِ أيتها المجاهدة النبيلة.. فقد سعيت للتكفير عن ذنوبك وتخليص زوجك، ولكن الأقدار عاكستك وأوقفتك قبل إتمام عملك، فلا رجاء بعد الآن لزوجك ولا لأخيك بالخلاص فسيلقى القبض عليهما وعلى رفاقهما أفراد العصابة ويُساقون كالحملان إلى الذبح وينتقم شوفلان

وجميع رجال الثورة لأنفسهم من عدوهم الكبير الزهرة الحمراء..

* * * *

أفاقت مرغريت من إغمائها ولا تعرف ما هي المدة التي بقيت فيها غائبة عن الوعي ولم تشعر بنفسها إلا وتحتها رداء فرشه لها أعداؤها على الحضيض ومتوسدة صخرة وفي فمها كمامة تمنعها عن الكلام. وكان الظلام وقتئذٍ حالكا والسكون سائدا لا يعكر صفوه إلا هدير مياه البحر وتكسر أمواجه على الشاطئ القريب.

وكانت مرغريت في دهشة وذهول وقد أُسقط بيدها ولم تعد تدري ما الحيلة لإتمام مهمتها وهذه هي ساعة العمل ففيها فصل الخطاب أما حياة زوجها أو مماته ولا مرد لحكم أصدره أعداؤه الألداء تشفيا منه لأنفسهم وانتقاما...

استرعى أخيرا سمعها مهامسة على مقربة منها فأنصتت وإذا هي تتبين صوت عدوها يخاطب رجاله بالمهمة الخطيرة ففهمت مما تمكنت من التقاطه من الكلام أنهم وصلوا إلى غاية سفرتهم ثم سمعته يقول:

- ما رأيتم داخل الكوخ؟

- أربعة رجال حول النار يصطلون وكلهم على ما يبدو في وجوههم ينتظرون غيرهم.

- ما الساعة الآن؟

- تقرب الثانية بعد انتصاف الليل.

- هل الجميع عارفون مهمتهم؟

- كل المعرفة، وتراهم رابضين لا يأتون بحركة ما قبل مجيء العدو إلى الكوخ فينقضوا عليه عندئذٍ الخمسة معا.

- والامرأة؟

- لا تزال غائبة عن الرشد وهي هنا على مقربة منا.

- واليهودي؟

- مكمم الفم مقيد اليدين والرجلين جيدا فلا خوف منه أبدا.

- حسنا. كونوا على استعداد تام فقد دنت ساعة الجهاد. والآن اذهبوا إلى مواقفكم وأنا أبقى هنا ساهرا على الامرأة.

فذهب الرجال في سبيلهم وشعرت مرغريت بعدوها يتقدم منها ويأخذ بيدها ثم يهمس بأذنها قائلا:

- قبل أن أرفع الكمامة من فيك أيتها السيدة أرى من واجبي أن أبدي بعض ملاحظات تكون خير منبهة لك.. لا أدري ما هي العاطفة التي دفعتك إلى اللحاق بنا من بلادك إلى هذه المحلات النائية ولكني متأكد أنك عندما تشعرين بحرية لسانك تصرخين تنبيهاً لذلك العدو الذي طالما سعينا وراءه عبثا وحاولنا الضرب على يديه دون جدوى... سيأتي الكوخ بعد برهة ليجتمع إلى أخيك والكونت دي تورني واثنين من عصابته الحمراء. فلو صرخت مثلا أو عملت ما ينبه خواطرهم إلى الحذر وتمكّن الزهرة من الإفلات ولو أنه يستحيل عليه ذلك. فإن أخاك ورفاقه يبقون في حوزتنا فيموتون أمام عينيك رميا بالرصاص ولا مجال وقتئذٍ للرحمة والشفقة أبدا.

فاضطربت مرغريت لهذا الكلام واكفهر وجهها وكأني بها كانت تسأل مخاطبها بإشارة توسّل بيديها أن يخبرها عما يجب عليها عمله.

فأردف شوفلان قائلا:

- إني أرغب في أن تبقي هنا ساكنة ساكتة لا تأتين بأقل حركة إلى أن أسمح لك بذلك... إن هذا الحكم جائر عليك ولكنه حق من حقوقي وفيه أمه بأسرها فضلا عن أنك به تخلصين أخاك الحبيب أرمان من موت ينتظره. لا حق لك عليّ أبدا ترتجينه إنما أعدك وقد تحمّلت مشاق السفر وجئت إلى هذه الديار أن لا أمسّ أرمان بأذى بل أسلمه إليك صحيحا معافيا. فاسكتي إذا فبسكوتك خلاص أرمان وهو على ما أظن أعز لديك من قرينك الذي طالما امتهنك وسخر بك وإلا فالموت للإثنين معا.. أما وقد أوقفتك الآن على جلية خطتي فلك بأن تفعلي ما تريدين..

قال هذا ورفع الكمامة من فيها آمناص وقد عرف على أي الأوتار يضرب في قلبها.

أطلق لسان مرغريت وأضحت قادرة على الصراخ ولكن أنى لها ذلك والشيطان المتلبس بلباس الإنسان إلى جانبها قد بسط لها الخطرين. فأيهما أهون على قلبها يا ترى؟ أتصرخ وتحكم بالإعدام على أخيها وحبيبها ورجائها الوحيد في هذه الدنيا؟ أم تسكت ويُلقى القبض على من تجشمت لأجله الأخطار وجاءت إلى تلك الديار لتعمل على تخليصه من عدوه؟ ... وهل لو صرخت يخلص حقيقة زوجها أم

يذهب صراخها أدراج الرياح ويُلقى القبض على الجميع وينفّذ فيهم حكم أعدائهم الجائر؟ ...

ما العمل؟ ما الحيل؟ والساعة حرجة والثواني معدودة ولا مجال للانتظار.. وماذا تنتظر وأنى لها الفرج والفجر بعيد الانبثاق ولا من أمل لها بالخلاص من هذا المأزق الحرج الذي تخبط فيه خبط عشواء...

وكانت الطبيعة وقتئذٍ ساكتى ساكنة كأنها تترك للمسكينة المجال والحرية في التفكير دون أن تبدي ما يقطع عليها مجرى أفكارها.. والهواء يهب من وقت إلى أخر عليلا فيلفح وجه مرغريت المحمر تأثرا وانفعالا فتزيد اضطرابا ويزيد قلبها خفوقا. ويتمثّل لها قرينها مكتوف اليدين مسوقا إلى المقصلة سوق الحملان إلى الذبح... فتفتح فاها لتخلصه ولكن لا يلبث أن يظهر لها أخوها أرمان ملقى عند قديما مضرجا بدمائه قتيلا....

إن هي لكذلك وإذا بصوت يخترق الفضاء أوقف نبضات قلبها فأصاخت وإذا به غناء عرفت فيه ذات النغم الذي سمعته وهي في الفندق مختبئة وكان زوجها المغني..

وكان الصوت يتقدّم من المكان الذي فيه الكوخ والجنود جميعهم رابضون مستعدين إلى أن يدخل عدوّهم على رفاقه حتى ينقضوا عليه ويتموا عملهم.

أما مرغريت فقد أحرجها الموقف ولم تعد تدري ما العمل.. فهل تحكم على أخيها بالموت فتصرخ لتنبيه هذا الحبيب القادم أم

تسـكت؟.. لكـن لا.. لا تسـكت أبـدا وليمـت أرمـان. فواجبهـا الآن هـو تخليـص زوجهـا...

فقامـت لسـاعتها وكأن الضعـف قـد زاد في قوتهـا قـوة واندفعـت تعـدو كاللبـؤة الفاقـدة أشـبالها ووجهتهـا الكـوخ ومـا صـارت عـلى مقربـة منـه حتـى صرخـت:

- أرمـان أرمـان.. أسرع وخلـص رئيسـك. فهـة عـلى مقربـة منـك ويـكاد يقـع في الـشرك المنصـوب لـه.. قـم وأسرع ودافـع عنـه وعنـك...

وقـد أعياهـا التعـب فسـقطت إلى الأرض ومـا لبثـت أن شـعرت بأيـدٍ مـن حديـد توضـع عليهـا وتسـد فمهـا عـن الـكلام في وسـط ذلـك الليـل البهيـم... وكانـت هـي تتمتـم: الهـرب يـا بلانـكاي فمكانـك ليـس أمينـا...

أمـا المغنـي الجـريء فقـد سـكت عنـد سـماع الـصراخ. ولا بـد أن يكـون انتبـه لمـا ينتظـره مـن الخطـر...

أمـا الرجـال فهبّـوا كلهـم ولم يعـد ثمـة مجـال للتخفّـي والتسـتّر وقـد فضحـت مرغريـت عملهـم بصراخهـا. وبإشـارة مـن شـوفلان هجمـوا كلهـم كالذئـاب الخاطفـة عـلى الكـوخ. فاحتاطـه البعـض منهـم مـن جهاتـه الأربـع وهجـم البعـض الآخـر عـلى البـاب شـاهرين الحـراب ومسـتعدين للنضـال، ولكنهـم لم يلبثـوا أو وقفـوا أمامـه دهشـين حيـارى وكان الكـوخ خاليـا خاويـا ولا حـي فيـه يُرتجـى.

أمـا شـوفلان الـذي كان يظـن أن لا بـد مـن مقاومـة الأعـداء وحصـول مناوشـة بينهـم وبـين رجـال المهاجمـين فإنـه ذُهـل لمـا رأى أن لا حركـة

ولا صـوت وأن الجنـود ينتظـرون أوامـره. فحملـق بعينيـه وكان شرر الـشر يقـدح منهـا وصرخ قائـلا:

- ولِمَ وقوفكم هذا؟

فأجابـه أحد الجنود قائلا:

- أظـن أيهـا المواطن أن لا أحد داخل الكوخ أبدا.

- والأربعـة الرجـال الذيـن كانـوا فيـه مـاذا جـرى لهـم؟.. ألم تقبضـوا عليهـم؟ . الويـل لكـم.. إلحقـوا بهـم ولا تتركوهـم ينجـون مـن بـين أيدينـا.

فأذعـن الرجـال واندفعـوا وراء الصخـور في طلـب الفاريـن.. وكانـت الحـدة آخـذة مـن شـوفلان أيمـا مأخـذ. كيـف لا وهـو يـرثي فشـل عملـه وحبـوط مسـاعيه بعـد أن كان مؤكـدا لنفسـه الفـوز والانتصـار عـلى أعدائـه؟ . فـصرخ بمقـدم الجنـد وكان بقـي إلى جانبـه قائـلا:

- سـتلاقي أن وجنودك جزاء إهمالك هذا وتركك الخونة يفرّون.

- لقـد كنـت السـبب في ذلـك أيهـا المواطـن إذ أنـك قـد أمرتنـا ألا نبـدي حـراكا قبـل أن يـأتي الزهـرة الحمـراء.. وهـو عـلى مـا نظـن الضالـة الي نحـن آتـون ننشـدها في هـذه الديـار.

- ولكنـي أمرتكـم عنـد صراخ الامـرأة أن تهجمـوا عـلى الكـوخ وتقبضـوا عـلى مـن فيـه فقصرتـم.

- لم نقـصّر. ولكـن الأربعة رجال كانوا قد فرّوا قبل أمرك.

دُهش شـوفلان لهذا الكلام وقال:

- وهـل كان فرارهم قبل أن صرخت الامرأة؟

- أجـل أيهـا المواطن وقد رأيناهم بأم أعيننا..

- وكيـف تركتموهم يفعلون ذلك؟

- لقـد أمرتنـا بالانتظـار وهـددت المخالـف منـا بالمقصلـة جـزاء. فاضطررنـا إلى الرضـوخ واتبـاع أوامـرك بالحـرف. فـلا لـوم إذا علينـا ولا تثريـب أبـداص... أمـا رجـال الكـوخ فقـد رأيتهـم يبتعـدون بـكل حـذر متسـترين بالظـلام ولم أقـدر أن آتي بحركـة مـا.

كان شـوفلان يسـمع هـذا الـكلام وهـو يتحـرق ويتـبرم، وفي تلـك البرهـة سُـمع عـن بعـد إطـلاق رصـاص تبعهـا أصـوات مقاذيـف تخبـط أمـواج البحـر وزورق يمخـر عبابـه فأنصـت ومـا كانـت تلـك الحركـة إلا لتزيـد في همـه وأحزانـه. كيـف لا وهـو يـرى ذلـك الإنكليـزي عـدوه.. ذلـك الزهـرة الحمـراء الـذي طالمـا سـخر يعيـد دوره اليـوم أيضـا بينـما كان هـو متأكـدا مـن الانتصـار عليـه؟..

ولكـن كيـف تمكّـن مـن الإفـلات بـل وكيـف وصـل إلى ذلـك المحـل دون أن يشـعر بـه أحـد؟. وكيـف اخـترق شـوارع كالي بالعربـة التـي اسـتأجرها مـن اليهـودي ثـم تسـلّق تلـك الصخـور دون أن تصادفـه قـوة مـن القـوات الراصـدة؟!. إن ذلـك لعجيـب ولا بـد مـن سر في هـذا الأمـر. فهـل الأرواح تداخلـت بالمسـألة وخطفـت الرجـل مـن بـين أيديهـم؟. ولكـن لم يكـن في ذلـك الوقـت مـن اعتقـاد بمثـل هـذه الخرافـات. إن شـوفلان ورجالـه الثلاثـون قـد سـمعوا بآذانهـم غنـاء الزهـرة الحمـراء.. سـمعوه جيـدا عـلى مقربـة منهـم.. وكان رجـال الكـوخ قـد هربـوا ووصلـوا شـاطئ البحـر

قبله.. فأين ذهب إذا المغني ويستحيل عليه اللحاق بهم والمكان ليس بقريب والجنود قد انتشرت في تلك الأنحاء وسدت كل طرق الخلاص عليه. فهو إذا ولا بد لا يزال في ذلك الجوار مختبئا ريثما تسنح له الفرصة للحاق برجاله...

وكانت هذه الفكرة قد جددت بعضا من الأمل في قلب شوفلان فبادر بسؤال بعض من الجنود كانوا قد رجعوا من مطاردتهم الفارين عما كان منهم فأخبروه أنه وصلوا إلى الشاطئ متأخرين ولم يتمكّنوا من الوصول إليهم في عرض البحر. وعبثا أطلقوا النيران عليهم فقد ابتعدوا عن الشاطئ ولم يصل رصاص البنادق إليهم.

- وهل تظنّون أن الرجال ركبوا البحر بعد أن صرخت الامرأة؟

- كلا أيها المواطن. فالمكان بعيد ولم نقعد نحن وقتئذٍ أمام أوامرك. إنما كان الفارون قد وصلوا وقت الصراخ إلى البحر وركبوا زورقهم.

عند هذا الكلام عظُم رجاء شوفلان بتخلّف عدوه عن رجاله وأنه لا بد أن يكون باقيا بانتظار فرجٍ قريب. فلم يضع إذا شيء والأمل لا يزال كبيرا.

ثم صرخ بالجند أن يشعلوا ثقابا ففعلوا ودخلوا إلى الكوخ للتفتيش فيه لعلهم يعثرون على ما يمكنه أن يهديهم سواء السبيل فوجدوه خاويا خاليا لا شيء فيه إلى بعض مقاعد من الخشب مرمية في وسط المكان دلالة على إسراع من كانوا جالسين عليها للفرار وفي الوسط نيران لا تزال مشتعلة ولا من شيء يلفت النظر فأرادوا الخروج ولكن نظر شوفلان الحاد لمح ورقة بيضاء في زاوية من الكوخ فالتقطها بلهفة

وقـرأ وإذا فيهـا مـا يـأتي:

«إن إتيـاني إليكـم ليوقعكـم بخطـر يصعـب النجـاة منـه فضـلا عـن أن مسـاعينا للفـرار تجخيـب.. فاحرصـوا إذا واحـذروا وانتظـروا بعـد أن تقـرأوا هـذه الورقـة مـدة دقيقتـين واتركـوا الكـوخ بـكل خفـة وسـكينة وانزلـوا الصخـور متسـترين بظـلام الليـل إلى سـمح الأكمـة ثـم خـذوا طريـق الشـمال وتقدّمـوا إلى أن تصلـوا إلى صخـرة كبـيرة داخلـة في البحـر فاسـمعوا هنـا صفـيرا وهـي علامـة معهـودة فيأتيكـم الـزورق ويقلّكـم إلى السـفينة التـي بانتظاركـم في عـرض البحـر وعنـد وصولكـم أرجعـوا الـزورق وأخـبروا بحّارتـه أن ينتظـروني وراء الصخـور المحاذيـة لفنـدق القـط الأسـمر وهـم يعرفونهـا جيـدا. وهنـاك آتي أنـا إليهـم وتتـم النجـاة».

وكانـت الكتابـة موقعـة بعلامـة الزهـرة الحمـراء فخفـق لهـا قلـب شـوفلان وقـد تحقـق ظنـه وعظُـم أملـه. فـلا نجـاة إذا للزهـرة الحمـراء وقـد فُضـح عملـه ولا يـزال في الأراضي الفرنسـاوية، ثـم صرخ بالجنـود قائـلا:

- من يعرف منكم السـاحل جيدا؟

فتقدّم أحدهم وقال:

- إني ابـن هـذه الديار أيها المواطن ولا تخفى عـليّ منعطفاته ومخبآته.

- هل تعرف صخرة كبيرة تجاه الفندق الأسـمر؟

- نعـم وقد طالما كنت بجوارها.

- سـيكون العـدو المنشـود عليهـا بعـد برهـة مـن الزمـن أمـلا منـه بالنجـاة وسـتكون ثقتـه بنفسـه عظيمـة خصوصـا وهـو غـير عـارف أن قـد كُشـف

سره. فمن منكم يطمع بألف من الذهب ويكون على الصخرة قبل وصول طريدتنا فيحول دون إتمام عمله ويأتي به إلينا ذليلا حقيرا؟

فمُدّت الأيدي إجابة لشوفلان وطمعا بالمكافأة الكبيرة، فوعد الجميع بمثلها إن نجح مسعاهم. فساروا ووجهتهم الصخرة المعهودة وقد أخذوا أقرب الطرق حتى يصلوا إليها قبل العدو المطلوب.

أما شوفلان فلما خلا له المكان سأل عن اليهودي فأتوه به مشدود الوثاق يئن ويصيح ألما ويتوسّل طالبا رحمة وكان اخوف الشديد مستحوذا عليه وجميع أعضائه ترتجف وتضطرب. وما وقع نظر شوفلان عليه حتى قدح شرر الانتقام وقد ذكر الزهرة الحمراء وإفلاته من بين أيديه مرة أخرى فأراد أن يصب جام غضبه على اليهودي أمامه الذي وعد بأن يسبق الإنكليزي بعربته فلم يقم بوعده.

فصرخ بالجنديين أن يأخذا عودين من احطب وينزلا عليهبالضرب جزاء له فأذعنا للأمر وكان المسكين يصرخ ويستغيث ولكن لم يكن من شفقة في قلب معذبيه أو رحمة لذلك المسكين المستغيث بالآباء والأجداد. وكان شوفلان ينظر هازئا مازحا ولما شفي غليله أمر بتقييد رجليه ويديه جيداص وإباقائه على الحضيض يشكو آلامه.

أما مرغريت تلك التي ملكت القلوب بجمالها وأدهشت باريس ولوندره بحسنها وقد سُمّيت ربة الحسن وملكة الجمال، فكانت ملقاة على الأرض منهوكة تعبة وقد فتحت عينيها بعد إغماء دام طويلا وأذهلها عن معرفة ما جرى داخل الكوخ وما كان للمطاردين وأخيها وقرينها.

فتقـدّم منهـا شـوفلان وقـال: إني أتـركك آسـفا أيتهـا السـيدة فلـك مـن اليهـودي خـير حـارس في هـذه الديـار وغـدا إن شـاء اللـه سأرسـل مـن يحملـك إلى المدينـة فوداعـا الآن.

قـال هـذا وتـرك تلـك الأكمـة التـي شـهرت فشـله وخزيـه وركـب العربـة التـي كانـت تنتظـره وابتعـد تـاركا المسـكينة تحـت السـماء وحيـدة في ذلـك المـكان القفـر لا مجـير لهـا ولا مجيـب لندائهـا أو مشـفق عـلى حالتهـا التعسـة.

* * * *

بقيـت مرغريـت تسـاور الهمـوم وتسـامر النجـوم وترقـب قمـر ذلـك الليـل البهيـم لعلـه يطلـع فتناجيـه وتحاكيـه وتشـكو لـه همومهـا وآلامهـا لعلـه يخفـف مـن وطء ذلـك الظـلام عليهـا ويرشـدها إلى مـا كان مـدة غفلتهـا ويوقفهـا عـلى أخبـار زوجهـا وأخيهـا أرمـان ويفهمهـا مـا جـرى لهـم مـع أعدائهـم. فهـل تمكّنـوا مـن النجـاة أم تراهـم يُقاسـون الآن العـذاب والأتـراح؟..

في وسـط ذلـك الليـل البهيـم وبـين تلـك الصخـور حيـث لا حـي فيهـا ولا شيء يعكـر صفـو السـكينة المسـتتبة بينـما كانـت مرغريـت تهـدس وتهجـس وإذا بحركـة سـتمعت عـلى مقربـة منهـا اختلـج لهـا قلبهـا...

ولكـن مـا تكـون تلـك الحركـة وعهدهـا أن لا أحـد في تـرك الديـار ترجـو معونتـه؟..

فظنت نفسها حاملة والأشباح تتراءى لها في نومها فحسبتها حقيقة... ولكن تلك الحركة تكرّرت وتبعها صوت سأم وضجر خفق له قلبها... فالحركة إذا حقيقية ولهجة الصوت إنكليزية. فمن يكون في تلك الديار يا ترى..

أنصتت وقد التفتت يمنة ويسرة لتتحقق ما تسمع ولكن السكينة عادت فعاودتها الشكوك بأمر تلك الحركة وما لبثت أن استفز قلبها شعاعا وقد سمعت على مقربة منها قائلا يقول:

- إني كنت أرغب ورب السماء ألا يكون ضرب الجنديين بهذا المقدار شديدا...

فهبت مرغريت على قدميها وكأن ذلك الصوت كان ترياق الحياة فشدت قواها وأخذت تتفرس بما يحيطها وقد تأكدت من وجود متكلم لا يزال متسترا عن أبصارها وقد أعاد كلامه ثالثة...

فصرخت عندئذٍ ولم يبق في جعبتها منزع للصبر ورنة صوتها تنم عن فرح عظيم مستحوذ عليها.

- برسي. برسي. زوجي الحبيب أين أنت؟ وهل لم تخدعني أذني ولا تزال حيا تُرزق؟.. بالله أجب أين أنت فتراني أنتظرك على أحر من الجمر.

فأجابها الصوت عندئذٍ وكان يتبيّن منه لتعب والعناء:

- إني مسرور لهذا الملتقى أيتها الحبيبة. ولكني مشدود الوثاق لا أقوى على التحرّك أبدا ولا على التقدّم منك.

أما مرغريت فلم تفقه معنى ما قيل على مسمعها حتى ولم تعرف مصدره والضعف يتبيّن في نبراته. فمن يكون المتكلم يا ترى ولا أحد في ذلك الجوار إلا اليهودي المسكين يقاسي آلام ما أصابه من قساة القلوب. فهل هو المتكلم يا ترى؟

التفتت إليه مرغريت وكان ملقيا بين صخرتين وإذا بعينين محدقتان بها فركضت إليه وصرخت والأمل يغذي قلبها:

- برسي. برسي حبيبي أنت هنا؟

- أجل أيتها الحبيبة إني إلى جانبك كملاكك الحارس ولكن رجائي قبل كل أن تفكي قيودي فالوثاق يؤلمني ويمنعني عن كل حركة...

لم يكن مع مرغريت سكين لقطع القيود وبنانها كانت مدمية فاستعانت بأسنانها وكانت دموعها تهطل على وجنتيها، وبعد عذاب شديد تمكّنت من فك قيود يديه فأكمل هو فك وثاق رجليه وقال:

- لا أدري إذا سق وجرى مثل هذا لشريف إنكليزي قبل اليوم وهل كان تحمل كل هذه العابات لو وقع في مثل هذا المأزق؟... ولكن هي حياة كثيرين اضطرتني إلى الصبر واحتمال الشدائد ولولا ذلك المكان قضي عليّ وعليهم.

قال هذا ووقع بين يدي قرينته خائر العزائم منهوك القوى ثم سألها أن تمد يدها إلى جيب ثوبه ففعلت وأخرجت زجاجة خمر فشرب وشربت هي أيضا وتشددت قواهما. ثم رفع بلانكاي عن رأسه تلك الشعور المستعارة واللحية الطويلة التي أخفت وجهه فظهر بهيئته

الحقيقية ومال إلى امرأته بحنو ووضع على خدها المبلول بدموع الفرح قبله حارة طالما رنا قلب مرغريت إلى مثلها من شفتيه...

فنفرت هي منه خجلة من نفسها وقالت بصوت تتبين من لهجته الندامة:

- برسي. برسي أتدري أني أنا كنت السبب في كل هذه العذابات؟

- نعم أعرف كل ما كان منك منذ تلك الليلة ليلة الملعب، وقد اجتمعت فيها إلى شوفلان إلى الآن... ولم يكُ ليخطر ببالي أنك تتجشمين مثل هذه المخاطر في سبيلي.

- وهل لك أن تسامحني وتعفو عن زلاتي المتعددة؟

- إن شجاعتك هذه وإخلاصك لخير كفارة عن ذنوبك إن كان ثمة ذنوب وهي تشفع بك أيتها الحبيبة.

كان الحبيبان ويمكننا أن ندعوهما الآن حبيبين جنبا إلى جنب يتحاكيان ويتشاكيان ويتباثان عواطف قلبيهما. ولكن كأن خاطرا طرأ على مرغريت فتغيّرت ملامحها فجأة وصرخت.

- وأرمان أخي ماذا جرى به. أجب بالله أين هو؟

- ليهدأ روعك فأرمان في دار الأمان ولم يحصل له مكروه البتة. فقد نجا مع رفاقه الثلاثة.

- ولكن كيف تم لهم الخلاص والخطر كان محدقا بهم والجنود محيطين بالكوخ والأوامر مشددة عليهم بعدم تركهم؟

- لقد كانت خطتي سهلة صريحة. فإني لما رأيت أن لا مهرب لي من بين أيدي الأعداء والجنود سادون كل مسلك في سبيل نجاتي عزمت على ألا أترك شوفلان طرفة عين بل أبقى إلى جانبه مراقبا حركاته ساعيا بما عندي من القوة وراء تخليص من يرجون الخلاص على يدي وهم في الكوخ ينتظرون... فتزيّيت بزي يهودي ساكن في هذه الديار واختطت لنفسي خطة تتبعتها أنتِ بنفسك وقد نجحت كل النجاح.

- ولكن لو عرف شوفلان فيك نفس عدوه الذي ينشده ماذا كان جرى بك ؟

- لكان قُضي الأمر وانتصر علي وانتقم لنفسه مني. ولكني كنت موقنا سلفا أنه يقصر عن معرفتي خصوصا ولليهود في قلوب الإفرنسيين كره شديد ومقت أشد.. فإنهم ينفرون منهم نفورا لا يدعونهم بعده يقربون منهم أبدا. فلا يكلّمونهم إلا بعيدين عنهم حريصين من أن يلصق بهم مكروبهم... فهذا كان شأني مع عدوي.

كانت مرغريت تسمع كلام زوجها وهي معجبة دهشة لا تكاد تصدقه ثم استزادته فقال:

- عندما وصل الجميع إلى الأكمة وسمعت الأوامر المعطاة للجنود عرفت أن الصدف تساعدني، واتكلت على طاعة الجنود العمياء بأن لا يتحركوا أبدا ولا يأتوا أمرا ما قبل مجيء الإنكليزي المنتظر وإلا فالموت أمامهم... وكانوا قد شدّوا وثاقي وطرحوني على مقربة من الكوخ غير حاسبين لي حسابا ولا شاكٌّ أحد منهم بأن اليهودي هو نفسه ضالتهم المنشودة... وبعد أن استقر بالجميع المكان وقد ربضوا

راصديـن منتظريـن قـدوم الزهـرة الحمـراء، عملـت أنـا عـلى فـك قيـودي والزحـف نحـو الكـوخ دون أن ألفـت أنظـار أحـد وكتبـت ورقـة أرسـلتها إلى داخـل الكـوخ مـن بـين ثقـوب الجـدار وقـد قلـت لهـم فيهـا أن يتركـوا المـكان وينسـلّوا متسـترين بالظـلام ويتوجّهـوا نحـو الشـمال فيجـدوا صخـرة كبـيرة وهنالـك يصفـرون وهـي علامـة متفـق عليهـا مـع البحـارة فيـأتي زورق ويقلّهـم إلى دار الأمـان. ففعلـوا بمـا في الورقـة تمامـا ونجـوا كـما أن الجنـود قـد أطاعـوا أوامـر شـوفلان ولم يأتـوا بحركـة. وبعـد أن تيقّنـت مـن نجاتهـم رجعـت إلى مـكاني والتففـت بالقيـود وأسـمعت ذلـك الغنـاء الـذي أحـدث تلـك الحركـة وأنتـج الفشـل لشـوفلان ورجالتـه. إن الخطـة لخطـرة وأيـم الحـق وقـد جازفـت بهـا بحيـاتي وحيـاة المطارديـن ولكـن الصـدف شـاءت أن تأخـذ بيدنـا ويخلـص الجميـع.

كانـت مرغريـت تسـمع ولا تـكاد تصـدّق مـا يُقـال عـلى مسـمعها لـولا وجودهـا وحضورهـا بنفسـها تلـك الخطـة وكانـت دمـوع الفـرح ممزوجـة بإمـارات الدهشـة تسـح مـن مقلتيهـا.

- ولكنهـم أشـبعوك ضربـا بعـد فشـلهم ولم يشـفقا عـلى شـيخوختك وضعفـك الظاهريـن!

- لا سـبيل إلى غـير ذلـك أيتهـا الحبيبـة. خصوصـا والواجـب يقـضي عـليّ ألا أبتعـد عـن امـرأتي وقـد لاقـت نصيبـا مثـل نصيبـي مـن العذابـات...

إنهـما لكذلـك يتجاذبـان أطيـب الأحاديـث وإذا بحركـة سُـمعت عـن بعـد اضطربـت لهـا مرغريـت اضطـراب العصفـور في مهـب الريـح وقالـت:

- ماذا في الجوار؟

- لا شيء أيتها الحبيبة. فصديقنا أندري آتٍ إلينا. أجل هو السر أندري أحد أعضاء عصابتنا الذي رافقك إلى كالي هو الآتي الآن وقد صادفته خارج الفندق لما تركتك وأخبرته أن يلاقيني هنا وأهديته إلى طريق مخفية عن أبصار الرقباء حتى لا يقع في الفخ...

وفي هذه الأثناء تقدّم أندري وبعد أن التفت يمينا وشمالا قال بصوت متحرّص قلق:

- بلانكاي.. أين أنت؟

فأشار إليه بلانكاي بالتقدّم. فخفي عليه أمره تحت أردية اليهودي ووقف مبهوتا.

ولكن بطلنا أزال دهشته ثم قالت مرغريت:

- كيف السبيل إلى الخلاص الآن وشوارع كالي خطرة علينا والجنود فيها يرقبون ويوقفون كل غريب يشكون في أمره..

- لا حاجة لنا على الذهاب إلى كالي وهي حيلة أيضا هزأت بها بأعدائي، فإني عدا الورقة التي التقطها شوفلان في الكوخ وقرأها رمين إلى أرمان ورقة أخرى أوقفته على حقيقة الخطة التي يجب عليه اتباعها. فبعد أن يخلص ورفاقه يرسل إليّ الزورق إلى مكان يبعد نصف ميل عن هذه الديار فنذهب إليه ونخلص بدورنا. وهكذا بينما يكون شوفلان ينتظر الزورق مع رجاله عند صخرة تجاه فندق القط الأسمر حسب تعليمات الورقة بين يديه.. نكون نحن قد خلصنا ولا رقيب علينا...

قال هذا وهبّ على رجليه ولما رأى أن عزائم مرغريت خائرة وأن قواها تخونها دون المشي أخذها بين يديه رغما عن آلامه من جراء الضرب الشديد الذي لاقاه ومشى وإلى جانبه السر أندري ومرغريت بين يديه مستسلمة له فرحة بوجودها معه متهللة بالعواطف المتبادلة بين القلبين بعد ذلك الجفاء القديم.

ولما وصلوا إلى الشاطئ أسمعوا الإشارة المتفق عليها فجاء الزورق وأقلهم إلى السفينة المنتظرة في عرض البحر وهناك استقبلهم رجال عصابة الزهرة الحمراء بالفرح ولم يدهشوا للباس زعيمهم وهم متعودون على أن يروه مختلف الأزياء باختلاف الخطط التي كان يرسمها لتخليص مضطهدي فرنسا

ثم أقلعت السفينة تاركة مياه كالي وقد رمت مرغريت إلى شاطئ فرنسا نظرة يقف القلم عن وصفها وكان الفجر قد لاح.

فسارت السفينة تمخر البحر إلى أن وصلت إلى إنكلترا دار الأمان وهناك اجتمع كلٌّ إلى ذويه وهو ذاكرٌ شجاعة زعيمه الشجاع معجبٌ بأعماله المدهشة التي يحفظها له التاريخ بكل فخر.

أما بلانكاي بطل روايتنا فإنه رجع إلى قصره ليرتاح فيه مما لاقاه من الأهوال في هذه السفرة وكان قد تبدّل جفاء قلبه القديم نحو مرغريت بحب لا يعلو عليه حب وعاش وإياها عيشة هناء ورغد إلى ما شاء الله.

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان